سوريتنا
www.souriatnapress.net
السنة الرابعة | العدد (168) | 7 كانون الأول 2014

إحدى مدارس المنطقة الشرقية قبل سيطرة «تنظيم الدولة» | RACAN ALHOCH

ثقافة "حرام يا شيخ" وتخبط تعليمي يُقلق "رعايا الخليفة"

حلب المحررة توثّق أحوالها الشخصية بدائرة سجل مدني بديلة

الحسكة تعاني العطش، وأكبر مشاريع تغذية المحافظة بالمياه متوقف

عبقري البيانو السوري "تامبي" تكرمّه تركيا بجنسيتها

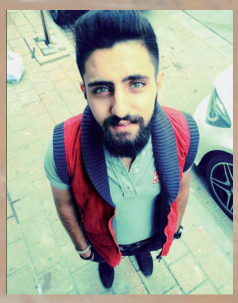

سوري يوثق طريق هجرته إلى السويد بهاتفه النقال

حلب المحررة توثّق أحوالها الشخصية بدائرة سجل مدني بديلة

■ حلب – عمر عرب

عدسة عمر عرب

لم يجد القاطنون في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام في حلب سبيلاً إلى تسيير أمورهم القانونية وشؤون الأحوال الشخصية إلا في إنشاء دائرة للسجل المدني، تمارس عمل دوائر النفوس التابعة للنظام المتوقفة عن العمل منذ أكثر من عامين في مناطق سيطرة المعارضة بحلب.

الدائرة التي افتتحت في 22 من حزيران 2013 تعمل بكوادر مؤهلة بينهم حقوقيون، وخريجي المعاهد وبعض الطلاب الجامعيين المنقطعين عن الدراسة، وقال رئيس الشعبة الثانية في الدائرة المحامي محمود الجاسم لـ سوريتنا : "إن الدائرة تصدر بيانات القيد الفردية والعائلية وبيانات الولادة والوفاة، كما تصدر بيانات الزواج والطلاق والبطاقات العائلية"، ويضيف: نتعاون في عملنا مع المحاكم والهيئة الشرعية، ولا يوجد لدينا في الوقت الحالي قاعدة بيانات إلكترونية أو ورقية نعتمد عليها.

وأكد الجاسم أن جميع "الجهات الثورية" تعترف بالوثائق الصادرة عن السجل المدني، سواء كانت هيئات إغاثية، أو فصائل عسكرية، إضافة إلى الجهات المدنية كالمجالس المحلية للأحياء ومجلسي المدينة والمحافظة، ولفت الجاسم إلى نقص المعدات التي تسهّل العمل في الدائرة، كالحواسيب والطابعات ومولدات الكهرباء وشبكة الأنترنت.

بدوره، قال أحد مراجعي الدائرة لـ سوريتنا: "يلزمنا بعض الأوراق الثبوتية للحصول على الإغاثة، ولا نستطيع الحصول عليها إلا من دائرة السجل المدني، وبإمكان أي مراجع هنا أن يلمس فرق معاملة الموظفين للمواطنين، عن مثيلتها لدى مؤسسات النظام.

ومن جهتها قصدت أم عبد الله الدائرة لاستصدار أوراق تسهّل حصولها على الحليب لطفلها، وقالت لـ سوريتنا: "جئت للحصول على بيان ولادة، وبيان عائلي، وهي الأوراق المطلوبة في مراكز توزيع حليب الأطفال لدى إحدى مؤسسات الإغاثة."

وتعتبر تجربة دائرة السجل المدني بحلب في مناطق سيطرة المعارضة الأولى من نوعها في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، في وقت بات فيه الحصول على الوثائق الشخصية من مؤسسات النظام أمراً شبه مستحيل بالنسبة للقاطنين في تلك المناطق.

في الأثناء قالت مواقع إلكترونية سورية إن تنظيم دولة الإسلام في العراق و الشام أقدم على مصادرة كل السجلات المدنية في مدينة الباب بريف حلب، و ألقاها في مكب للنفايات بعد سجالات مع الأهالي و الهيئة الشرعية و أعضاء المجلس المدني قبل أن يعود لجمعها والاحتفاظ بها في مكان قال إنه آمن.

إعدام البزال يقتل عشرة سوريين ويجرح تسعة في لبنان

لقي عشرة لاجئين سوريين في لبنان على الأقل مصرعهم إثر هجوم شنه مسلحون لبنانيون مجهولي الهوية فجر السبت على مخيماتهم بعد ساعات من إعلان جبهة النصرة إعدامها للجندي اللبناني المخطوف علي البزال، فيما سجل اختطاف أكثر من أربعين سوريا في مناطق متفرقة من البلاد.

ونقلت مجموعة «مراسل سوري» الإخبارية أن مسلحين قاموا بإطلاق النار في مخيمات رأس بعلبك وقتلوا الطفل محمد حاميش 7 سنوات، والطفلة هدي حمود 11 سنة والشاب عمار ريحاوي 26 سنة.

وقالت المجموعة في خبر لها إن ملثمين ألقوا قنبلة يدوية على مخيمات السوريين في بعلبك مما أدى إلى مقتل كل من سعاد شعراوي 34 سنة مع طفلتها روان الحمصي، كما سقط الشاب مهند الخالدي 21 سنة، وأصيب تسعة بجروح.

إلى ذلك قضى يامن البكري 23 سنة مع الطفل عمر الخالدي 13 سنة بعد تعرضهما للطعن من قبل ملثمين مجهولين، فيما سجل اختطاف أربعة سوريين من عائلة واحدة «بحبوح» في رأس بعلبك.

كذلك قضت ايمان الهاشمي 20 سنة مع أخيها محمد الهاشمي وجرح خمسة في ذات المخيم بعد اطلاق نار من قبل مجهولين.

في المقابل لم تؤكد أي مصادر رسمية سورية أو لبنانية أنباء مماثلة، فيما قالت مصادر لبنانية وعقب إعدام الجندي البزال أن أهالي بلدته البزالية قطعوا الطرق وفتشوا السيارات، وتحدثت وكالة الصحافة الفرنسية عن تعرض مواطنين سنة للخطف، وسارع الجيش اللبناني للانتشار بالمنطقة.

بدورها ذكرت شبكة الجزيرة أن بياناً نشر على الإنترنت ونسب إلى أهالي البزال طالبوا فيه بإعدام من سموهم «الإرهابيين الذين يقطنون في سجن رومية»، كما طالبوا باعتقال بعض الشخصيات السورية، واعتبروا أن السوريين في عرسال إرهابيين، وأنه لن يسمح لأي جهة محلية أو دولية بالوصول إلى عرسال لمساعدتهم.

يذكر إن الاعتداء على اللاجئين السوريين في لبنان يستمر منذ عدة أشهر سواء في المخيمات أو المدن اللبنانية، فيما يتهم ناشطون وسياسيون جهات مقربة أو تابعة لحزب الله بالتورط في هذه الممارسات.

الائتلاف يتوافق على دعم تشكيلة الحكومة الثانية، وطعمة يجتمع بها قبل نيلها الثقة

توصلت كتل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية إلى اتفاق على دعم حكومة أحمد طعمة الجديدة، وذلك في أعقاب خلافات وتهديدات بالاستقالة دفعت بهادي البحرة رئيس الائتلاف إلى إصدار قرار ألغى بموجبه نتائج التصويت على تشكيلة حكومة طعمة الثانية وسط مقاطعة خمسين عضو من الائتلاف للانتخابات.

وكشف مصدر مطلع لسوريتنا "إن الاتفاق على دعم حكومة طعمة قد تم بالفعل، إلا أن ذلك لم يتم إعلانه رسمياً".

وأضاف المصدر "أن طعمة يسعى في الوقت الحالي إلى ترطيب الأجواء مع الكتل التي امتنعت عن التصويت له، وذلك من خلال ترشيح وزراء عن الحقائب الشاغرة بما يرضي تلك الكتل، وفي هذا السياق نصت بنود اتفاق الائتلاف على استكمال طعمة حكومته بترشيح نائب له ووزراء المالية والطاقة والعدل والثقافة".

الاتفاق دعا أيضاً إلى تشكيل لجنتين، الأولى فنية مستقلة ومهمتها صياغة الأنظمة والقوانين التي تحدد علاقة الائتلاف من جهة، والحكومة السورية المؤقتة، ووحدة تنسيق الدعم، والقيادة العسكرية العليا من جهة أخرى، في حين تهتم اللجنة الثانية المؤلفة من سبعة أعضاء ممثلين لكتل الائتلاف بإعادة هيكلة المجلس العسكري الأعلى والنظر في عضوية أعضائه خلال 30 يوم، على أن تكون قرارات تلك اللجنة ملزمة للائتلاف.

يشار إلى أن رئيس الحكومة السورية المؤقتة أحمد طعمة اجتمع بوزراء حكومة الجديدة يوم الخميس الفائت اجتماع تعارف غيب عنه وزراء المالية والثقافة والطاقة والعدل غير المنتخبين بعد، وذلك قبل نيل تلك الحكومة الثقة رسمياً من الائتلاف.

عام على غياب رزان زيتونة ورفاقها، وناشطون يطلقون حملة "من أجل دوما"

أعاد عدد من النشطاء الثوريين والحقوقين اطلاق حملة «Douma4#» للمطالبة والتذكير بالناشطين المحتطفين في مدينة دوما منذ حوالي عام.

وكان الناشطون رزان زيتونة وسميرة خليل ووائل حمادة وناظم حمادي اختطفوا في الليلة التاسعة من شهر كانون الأول 2014، في مدينة دوما بالغوطة الشرقية المحررة ولم يعرف مصيرهم حتى اليوم.

وتطالب الحملة بالضغط على الكتائب المسلحة التي تسيطر على الغوطة الشرقية من أجل الكشف عن مصير المختطفين واطلاق سراحهم فوراً، وستعمد الحملة إلى جمع تواقيع من مؤسسات وأشخاص ينشطون في مجال حقوق الانسان في جميع أنحاء العالم، إضافة إلى تنظيم وقفات واعتصامات تضامناً مع المختطفين، وحملة لرسم

لوحات غرافيتي تحمل صور النشطاء وتطالب بحريتهم.

وكانت الكتائب المقاتلة في مدينة دوما بشقيها، الجيش الحر والكتائب الإسلامية أعلنت مراراً أنها أجرت تحقيقات مكثفة للبحث عن المختطفين ولكن دون جدوى، بينما طال جيش الإسلام التابع للجبهة الإسلامية وهو الفصيل الأكبر في الغوطة الشرقية، اتهامات باختطاف النشطاء لكن الأخير نفى التهمة عنه وتعهد بمتابعة البحث عن المختطفين.

الطالب السوري في مصر ينال معاملة الطالب المصري من جديد

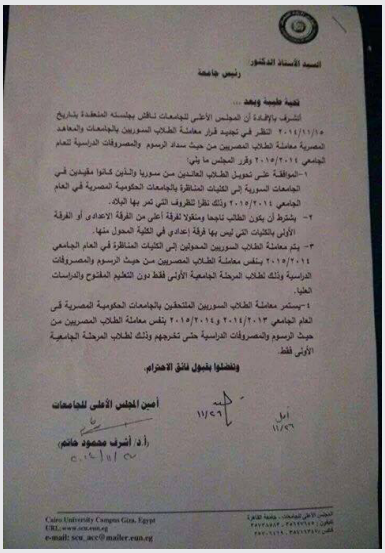

قرر المجلس الأعلى للجامعات في مصر معاملة الطالب الجامعي السوري في مصر بمثل معاملة الطالب المصري من حيث سداد الرسوم والمصروفات للعام الدراسي 2014 - 2015 وذلك بعد أكثر من عام على إلغاء القرار نفسه الذي أصدره الرئيس السابق محمد مرسي.

ونشر رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية هادي البحرة عبر صفحته على فيسبوك صورة عن القرار الذي تضمن في بنده الأول الموافقة على تحويل الطلاب العائدين من سوريا والذين كانوا مقيدين في الجامعات السورية إلى الكليات المناظرة بالجامعات الحكومية المصرية.

واشترط البند الثاني أن يكون الطالب ناجحاً ومنقولاً لفرقة أعلى من الفرقة الإعدادي أو الفرقة الأولى بالكليات التي ليس بها فرقة إعدادي في الكلية المحول منها.

وأوضح البند الثالث من القرار أن الطالب السوري المحول إلى الكلية المناظرة في العام الدراسي 2014 - 2015 يعامل بنفس معاملة الطالب المصري من حيث الرسوم والمصروفات الدراسية وذلك لطلاب المرحلة الجامعية الأولى فقط، دون التعليم المفتوح والدراسات العليا.

في حين أكد البند الرابع على استمرار معاملة الطالب السوري الملتحق بالجامعات الحكومية المصرية في الأعوام الدراسية 2013 - 2014 و 2014 - 2015 بنفس معاملة الطالب المصري حتى تخرجه، وذلك لطلاب المرحلة الجامعية الأولى فقط.

كما نشر البحرة عبر صفحته لاحقاً أنه قد تمت الموافقة على منح فيز زيارة عبر السفارات المصرية للسوريين ممن لهم أسرة مقيمة في مصر (باستثناء إقامة اللجوء)، وبعد التأكد من بياناته ومعلوماته يمنح الفيزا. وذكر البحرة أن المساعي مستمرة لإيجاد حلول بخصوص من يحمل إقامة اللجوء.

عبقري البيانو السوري "تامبي" تكرمّه تركيا بجنسيتها

قررت الحكومة التركية منح السوري تامبي أسعد جاموق أسعد (16 عاماً) الجنسية التركية بعد اكتشاف موهبته الفريدة في العزف على البيانو، ليتمكن من تمثيل تركيا في مسابقة Crescendo International Competitions في الولايات المتحدة الأمريكية.

تامبي الذي لجأ برفقة أهله إلى مدينة بورصة التركية قادماً من دمشق، بدأ بتلقي دروس العزف على آلتي البيانو والأورغ في تلك المدينة، وأثبت جدارته وموهبته التي مكنته خلال عام واحد من الوصول إلى مستوى طلاب تدربوا لأكثر من عشرة أعوام.

وسعياً لتحقيق هدف تامبي في الحصول على درجة عالمية وعلى حق الانضمام إلى المعهد الأميركي، شرعت مدرّسته بالبحث عن مسابقات ومهرجانات موسيقية عالمية لعازفي البيانو، فاشترك بمسابقة Planeta Talantov في موسكو حيث حصل تامبي على العلامة التامة، وفاز بالجائزة الأولى من مستوى Grand Prix، متفوقاً على منافسيه الذين يعزفون على آلة البيانو منذ عشر إلى خمسة عشر عاماً، ووصفته البروفسورة من لجنة التحكيم في جامعة موسكو بالعبقري الموسيقي.

وحسب موقع "ترك برس" تقدّم تامبي بعد اشتراكه في مسابقة موسكو بطلب للاشتراك في مسابقة Crescendo International Competitions في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 1 تشرين الثاني 2014، ومن ثم في بلغاريا وإيطاليا، لكنه يحتاج إلى الدعم المادي للاشتراك في هذه المسابقة وغيرها.

لذلك تقدّم رئيس أكاديمية الفنون الجميلة أكاديميكس "رستم افجة" والمدرّسة "إلينا يودينا تشيكيش" بطلب للدعم من نائب رئيس الوزراء بولنت أرنتش بعد لقائه، وأوضحا له أنهما يسعيان لمساعدة هذا الفتى الموهوب ليكون فنانا عالميا، ولتحقيق ذلك عليه أن يتلقى تعليما في المعهد الموسيقي في نيويورك وعليه أن يشترك بمسابقات عالمية خلال عامين، وهذا يحتاج إلى دعم بمبلغ 50 ألف دولار، كما طالبوا بمنحه الجنسية التركية لتسهيل سفره، وذكروا أنهم يريدون أن يمثل تامبي تركيا في المسابقات العالمية.

الحسكة تعاني العطش، وأكبر مشاريع تغذية المحافظة بالمياه متوقف

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

تعاني مدينة الحسكة، من شح في مياه الشرب، اذ تعتمد بشكل رئيسي على المياه المخزنة في بحيرة السد الجنوبي والغربي، الذي كان يعتمد بشكل كبير على جريان نهر الخابور، ومياه الأمطار التي ترفع من منسوبه خلال فصل الشتاء.

وفي الآونة الاخيرة دخلت عدة آبار حيز الخدمة، تم تجهيزها في ريف مدينة راس العين على سرير نهر الخابور، والتي يقدر عددها بـ 30 بئر، لتغذية المدينة بمياه الشرب، إلا أن المعارك الدائرة في منطقة رأس العين بين تنظيم "الدولة الإسلامية و"وحدات الحماية الشعبية YPG"، زادت في تأزيم الحالة، حيث عاشت المحافظة أيام طويلة من انقطاع المياه، نتيجة الضرر الكبير الذي لحق بمحطات الضخ، إضافة عن السرقة والانقطاع الدائم في التيار الكهربائي.

ويتهم عديد من الناشطين في الحسكة، النظام بالاتفاق مع الـ"PYD" من خلال تسليمهم مصادر المياه في الحسكة، والتحكم فيها ويستدلون على ذلك بتسليم النظام مؤسسة المياه في مدينة الحسكة التي لازال النظام يديرها، إلى عناصر تابعة لـ"PYD" بالإضافة إلى تسليم الآبار التي تغذي المحافظة بمياه الشرب في مدينة راس العين شمال سوريا، ومحطات مياه شرب مدينة القامشلي.

يقول أبو حميد من أهالي مدينة الحسكة " نعيش معاناة يومية لتأمين مياه الشرب، منذ ثلاث سنوات وفي بعض الأحيان تنقطع المياه عنا لأكثر من أسبوع".

ويضيف " نسينا شيء اسمه "حنفية" فلم نعد نستخدمها، خوفاً من هدر المياه، ولجأنا إلى تخزين المياه في براميل تختلف سعتها بحسب حاجة كل عائلة وعدد أفرادها"

ويشير أبو حميد "تزداد المعاناة أكثر في فصل الصيف، ففي كثير من الأحيان نضطر إلى السهر طوال الليل لنتمكن من تعبئة المياه في الخزانات، وفي حال غفلنا عن ذلك فهذا يعني الانتظار لأسبوع إضافي بلا مياه".

أدى هذا الانقطاع شبه الدائم للمياه في الحسكة إلى ظاهرة شراء المياه عن طريق أصحاب الصهاريج، والتي انتشرت وانتعشت في ظل ما تعانيه المدينة من أزمة في مياه الشرب.

يقول أبو ليث 46 عاماً " في وقت من الأوقات كنت اشتري 5 براميل من مياه الشرب بمبلغ "1500" ليرة كل يوم، اذ وصلت مدة انقطاع المياه عن الحي الذي اسكنه إلى أكثر من شهر، واستمرت هذه الحالة طوال فصل الصيف، كلما تجدد الانقطاع".

ويشير أبو ليث إلى تراجع طفيف في أزمة المياه في الأشهر القليلة حيث استقر موعد الضخ وبشكل شبه منتظم عند الـ 4 أيام لكل حي، نقوم بترشيد صرفنا للمياه بما يتناسب مع هذا الموعد.

وكان النظام شرع في شهر آذار من عام 2011، بإقامة مشروع جر مياه نهر دجلة في قرية عين ديوار التابعة لمدينة المالكية في أقصى الشمال الشرقي من سوريا، والذي كان يهدف إلى تأمين مياه الشرب لمحافظة الحسكة، في إطار تنمية المحافظة حيث كان من المقرر استجرار حصة سوريا من مياه النهر، عبر قناة تصل الى مدينة الحسكة بطول يصل إلى 140 كم.

يقول أبو أنس وهو موظف في الشركة المنفذة للمشروع "نفذنا المرحلة الاولى، حيث تم إنجاز الصحن عند النهر ومرحلة المفيض الذي يغذي القناة بالمياه من النهر، وكانت كلفة المرحلة الاولى على محدودية حجمها أكثر من 150 مليون ليرة، وكانت الكلفة التقديرية للمشروع هي 190 مليار ليرة، مقدمة من الحكومة الكويتية آنذاك".

ويضيف "توقف العمل بعد احتدام المعارك بين الجيش الحر ووحدات الحماية الشعبية 2012".

وكانت مصادر خاصة لسوريتنا أكدت أن "حزب الاتحاد الديمقراطي PYD" وبعد سيطرته على منطقة المالكية، اتفق مع شركة "ستروي ترانس غاز" الروسية للعمل على استكمال المشروع المتوقف منذ سنة 2012، وقدرت الكلفة بـ 190 مليون يورو.

القامشلي، فئة الشباب تختفي وأحياء تخلو من سكانها

■ القامشلي - ميديا أبو زيد

وأنت تمشي في شوارع القامشلي ستكتشف أن المدينة تخلو من أهلها، أناسٌ غادروا المكان على عجل منذ سنواتٍ ثلاث، أي منذ بدايات اندلاع الثّورة في سوريا والفوضى الأمنيَّة التي تتسيَّد الحالة، هذا الفراغ الحاصل يعود إلى موجات الهجرة المتزايدة التي باتت تتعرَّض لها كافة مناطق الحسكة وعلى الأخص مدينة القامشلي، عوائل وأسرٍ بالكامل هاجرت من مناطقها وبيوتها مجبرةً بسبب الأوضاع الأمنية وتدهور الحالة الاقتصاديَّة التي باتت تشكل عبئاً على أبناء هذه المدينة، فصعوبة العيش وسوء الأوضاع الأمنيَّة باتت تدفع بالناس هنا إلى الهجرة والحلم بحياة رغيدة وأقلّ جهداً وفقراً وحلماً باستقرار اجتماعي وفرص مميزة للتعليم.

منذ سنوات عديدة تمتد إلى فترة التسعينيات أو حتى قبلها بعديد من السنوات ظهرت موجات الهجرة في أغلب مدن محافظة الحسكة وكانت حالات فرديَّة تخصّ الناس المحكومين أو المُطاردين من قبل السلطات السوريَّة وحالات الأهالي الأجانب الذين حُرموا من التعليم ومن فرصهم في التوظيف بحكم عدم حصولهم على الجنسية السوريَّة التي تخوّلهم الالتحاق بالعمل المؤسساتي أو التحاقهم بالجامعات واستكمال دراستهم الاعتياديَّة.

يقول المحامي خير اللّه محمد: "إنّ موجات الهجرة في القامشلي وكل مناطق ومدن محافظة الحسكة ليست وليدة اليوم وإنما لها تاريخ قديم جداً وطبعاً كانت السلطات السوريَّة تتواطأ مع مهربي البشر بهدف إخلاء المنطقة الكرديّة من سكانها وإضفاء طابع بعثي عليها، والآن وبعد اندلاع الثورة في سوريا وتزايد وتيرة العنف الممارس من قبل سلطات النظام السوري في كل المناطق السورية، لاسيما الممارسات المتميِّزة بالهدوء والقساوة في استخدام الحصار الممنهج من ناحية الانقطاع المتواصل للتيار الكهربائي وانهيار الاتصالات بشكل كليّ تقريباً، وخاصة في مدن القامشلي وانهيار الليرة السوريَّة أمام الدولار وفقدان الكثير من الشباب لفرص العمل وانقطاع التواصل بين مناطق الحسكة وبين أماكن تمركز الجامعات السوريَّة، مما دفع إلى تزايد موجات الهجرة من قبل الشباب وفقدان العوائل بالكامل لمصدر رزقها مما دفعها إلى الهجرة خارج البلاد.

وعن الآثار السلبيَّة للهجرة تتحدث المرشدة الاجتماعيَّة منى الوافي وتذكر أهمّ تأثيرات الهجرة على المجتمع وبالأخصّ على الوضع الاجتماعي في مدينة القامشلي: "إنّ الهجرة تساهم بشكل فعّال في تأخر رقيّ المجتمع، وطبعاً على الخصوص في الأوقات الراهنة من عمر الثورة السوريَّة، نحن نعيش كمجتمع في حالة تغيير كليَّة، سواءً من ناحية الحريّات أو الأفكار الجديدة الوافدة إلينا من خلال الإعلام البديل الذي ظهر مع بداية الثورة، وحاول جاهداً تغيير نظرة الإنسان إلى الحياة القديمة التي كان يعيشها المجتمع في ظلّ قوانين القمع التي كانت سائدة، ولكن الهجرة تقف بكل الأحوال في وجه هذا الرقيّ واكتمال هذه النظرة التحوليَّة الجديدة، لكن للأسف موجات الهجرة المتزايدة تؤخِّر سرعة نمو هذه النظرة وتطوّرها".

أحد أسواق مدينة القامشلي | الحسكة الآن

تقول السيِّدة إلهام فاضل، وهي أمّ لأربعة أولاد شباب: "كل أبنائي هجروا القامشلي بسبب صعوبة العيش والأوضاع الأمنية السائدة، ثم أنّ أغلبهم مطلوبون لأداء خدمة التجنيد الإجباريّ، هاجروا لكي يحصلوا على لقمة عيش تقيهم الذلّ، أنا أعرف تمام المعرفة أنَّ الحل لا يكون بهجرة الشباب والأسَر، ولكن أعرف تمام المعرفة كذلك أنَّه لا حلّ آخر سوى الخدمات التي يتوجَّب على السلطات الحاكمة هنا أن تقوم بتأمينها، على الأقلّ، كي يكون بمقدورنا الصمود أمامَ غلاء الأسعار والحصار الممارس على المنطقة من قبل جهات متعددة، ليست المشكلة بالأمن والأمان ولكن المشكلة تكمن في ضيق ذات اليد وصعوبة العيش في هكذا ظروف"، وعند السؤال هل ستهاجرين أنتِ أيضاً؟ تغرورق عيناها بالدموع: "أنا سأهاجر غير أنني أنتظر أحد الأبناء كي يرسل في طلبي تطبيقاً لقانون لمّ شمل الأسَر الذي بدأت أوروبا بتطبيقه".

الهجرة باتت اليوم تشكِّل عبئاً كبيراً على أهالي مدينة القامشلي، من ناحية إفراغ المنطقة من الطاقات الشابَّة ومن الموارد البشريَّة التي من الممكن الاستفادة منها في مجالات عدَّة تساهم في رفع المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي في المدينة، لكن والحال هذه من تدهور في الاقتصاد وتدهور في اتخاذ القرارات من قِبَل سلطات الأمر الواقع، فقد تستمر سياسة إبقاء المنطقة على ذات الدرجة من التهميش، مما سيزيد من موجات الهجرة، مع ما يكتنف هذا الأمر من أخطار ستؤثّر في النهاية على البنية المجتمعيَّة في هذه المنطقة الغنيَّة بموارد صناعيَّة وزراعيَّة وبشريَّة يمكن تدريبها لأجل سوريا جديدة متطوِّرة على كافة الأصعدة.

الحولة: البنزين يولد الغاز للاستخدام المنزلي

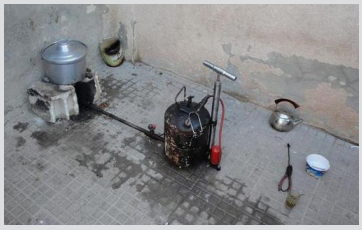

أفاد نشطاء محليون في مدينة الحولة المحررة بريف حمص، أنه تم ابتكار طريقة جديدة لتوليد الحرارة اللازمة للطبخ او التدفئة، بعد انقطاع مادة الغاز بشكل تام عن المدينة.

ويعتمد الابتكار الجديد على مادة البنزين وضغط الهواء حيث يتم تعبئة اسطوانات الغاز الصغيرة أو "الغاز السفري" بليتر واحد من البنزين يضاف إليه كمية محددة من الهواء، يتم ضخها في مستوعبة الغاز عن طريق مضخات هوائية تعرف محلياً باسم" الكانباراصور" لتحصل بالنهاية على غاز قابل للاشتعال يكفي للاستعمال وسطي يستمر لخمسة عشر يوماً

ويقول "ميسرة الحيلاوي" ناشط من مدينة الحولة أن هذا الابتكار الذي يكلف 1ليتر من البنزين سيؤمن احتياجات المدينة من من مادة الغاز لفترة جيدة زمنياً، وبتكاليف بسيطة بالمقارنة مع تكاليف جرة الغاز العادية التي قد يصل سعرها لعشرة آلاف ليرة سورية بينما يكلف الابتكار الجديد اقل من خمسمئة ليرة.

يذكر أن هذه الابتكارات لم تخضع لدراسات هندسية دقيقة من ناحية السلامة والامان، ومن الممكن ان تشكل خطورة على حياة المستخدمين المجبرين على التعامل معها كحلول وحيدة لاستمرار الحياة.

الأمل يحمل أطفال جنوب دمشق إلى المدارس

■ دمشق - أنليل فارس

يحاصر النظام في جنوب دمشق منذ أكثر من عام، قرابة الخمسة والثلاثين ألف إنسان، يعيشون في ظل أزمة إنسانية سيئة، بينهم آلاف الطلاب الذين مازال الكثير منهم يداوم على الذهاب إلى المدرسة أملاً في أن ينتهي الحصار ويكمل حياته، في ظل عدم اكتراث المنظمات الدولية والإنسانية.

قالت أم محمد، من جنوب دمشق، لـ"سوريتنا" "كان يجب أن يتقدم ابني إلى الامتحانات الثانوية العام الماضي، لكن بسبب الحصار ومنع القوات النظامية خروج المدنيين من المناطق المحاصرة، لم تتح له فرصة التقدم للامتحانات ولن تكون متاحة له هذا العام أيضاً"، وتضيف لقد كان من المتفوقين في شهادة التعليم الأساسي، ما ذنب أبناء هذه المناطق ليحرموا من التعليم، وناشدت "المنظمات الدولية الحقوقية والإنسانية بالتدخل لحماية حق الإنسان بالتعلم والحياة"، قائلة من "يريد الحفاظ على البلد لا يقضي على مستقبل أبنائها، لأنهم لن يعودوا عبيداً".

من جانبه، قال عدنان، من جنوب دمشق، كان يجب أن يكون طالب في الثالث الثانوي، "طوال العامين السابقين داومت على الذهاب إلى المدرسة، وسأدرس بجد هذا العام للتقدم إلى امتحان الثانوية، فأنا في كل صلاة أدعو ربي أن يفك الحصار ويسمح لي أن أقدم الامتحانات، وأسجل في الجامعة وأكمل دراستي، لأن بلدي بحاجة إلينا متعلمين".

وأضاف بصوت يملؤه التفاؤل، "يستطيع أن يحرمنا النظام من الكهرباء والماء والطعام، ويهدم منازلنا ومدارسنا، لكن لن يستطيع أن يهزمنا، فهذه البلد بلدنا".

وقال الناشط الإعلامي رامي السيد، من جنوب دمشق، لـ"سوريتنا" "في أحياء اليرموك والحجر الأسود نحو 2800 طالب في المرحلتين الأساسية والثانوية، موزعين على ست مدارس"، مبينا أنها "هذه المدارس هي عبارة عن مبادرة من ناشطين ومدرسين حوصروا في جنوب دمشق".

إحدى مدارس القدم جنوب دمشق

وبين أن "المناهج المعتمدة في تلك المدارس هي ذاتها في مناطق النظام، إلا أنه حذف منها كل ما يتعلق بحزب البعث العربي الاشتراكي وحافظ وبشار الأسد"، مضيفاً إلى أن "الدوام في هذه المدارس غير منتظم جراء القصف والاشتباكات التي تدور بين الفصائل داخل المخيم أو مع القوات النظامية".

وقال إن "المدارس عبارة عن مبادرات من منظمات المجتمع المدني، ويدرس فيها ناشطون، ومدرسون كانوا في مدارس النظام، لكن حوصروا داخل المخيم وفصلوا من عملهم، فمازالوا يدرسون على أمل أن يحصلوا على رواتبهم، في حين ترك بعض المدرسين مهنتهم، وبحثوا عن عمل آخر ليؤمنوا ما يقوت عائلاتهم في ظل تدهور الوضع الإنساني".

وأوضح أن "الطلاب يدرسون اليوم لكن دون أفق لهذه الدراسة، لأنهم لا يحصلون على شهادة تؤهلهم لمتابعة تعليمهم الجامعي، فالنظام يسمح للطلاب الفلسطينيين بتقديم امتحانات الشهادة الأساسية والثانوية، عبر منظمة الأونروا، إلى أنه لا يسمح للطلاب السوريين بالخروج لتقديم الامتحانات".

ولفت إلى أن "الحكومة المؤقتة نظمت عبر المجالس المحلية العام الماضي امتحانات لشهادة التعليم الأساسي، ومنحت الطلاب وثائق معتمدة من قبلها، قالت أنها معتمدة في تركيا"، مضيفاً "لكن الأهالي يتساءلون ماذا سيوصل أبنائهم إلى تركيا، وما سيكون مستقبلهم في سوريا".

ويحاصر النظام العديد من المناطق التي تسيطر عليها فصائل المعارضة المسلحة، ولا يسمح فيها للمدنيين بالدخول أو الخروج، كما يقطع عنهم كامل الخدمات، إلى أنه سمح العام الدراسي الفائت لعدد من أبناء الغوطة الشرقية بالخروج والتقدم إلى امتحان الشهادتين الأساسية والثانوية، ليتم إعادتهم إلى الغوطة المحاصرة عقب انتهاء فترة الامتحانات، وذلك برعاية أممية".

وكان وزير التربية والتعليم في الحكومة السورية المؤقتة، المشكلة من قبل الائتلاف الوطني محي الدين بنانه، قال في وقت سابق، إن "خمسة ملايين طالب سوري بحاجة للتعليم"، في حين كانت منظمة اليونيسيف أعلنت عن أن ثلاثة ملايين ونصف المليون طالب سوري يفتقدون التعليم تماما، دون أن يكون لدى الجهتين أي حلول لمستقبل أبناء سوريا، الذين من المفترض أن يكونوا بناة الغد.

نحو الجهل، التعليم في القامشلي تحكمه الفوضى

■ القامشلي - جوان تتر

"ما يحدث الآن سيتسبّب في كارثة لن تؤذي إلّا الجيل القادم" يقول محمد البشير الموجه التربوي واصفاً العملية التعليمية في القامشلي "قبل اندلاع الثورة كان هناك مرجع أساسي يتدخل في طرائق التدريس ولكن الفوضى تسود الآن والسبب الرئيسي لها هو تعدّد المناهج، فعلى امتداد سوريا يوجد أكثر من منهج دراسي، وهذا ما أدّى بطبيعة الحال إلى تغيير الأنظمة التعليمية جذريّاً، والحال هذه توجد في مناطق محافظة الحسكة التي تقوم الإدارة الذاتية الديمقراطية الكردية بتسيير شؤونها وتغيير المناهج من قبل هيئات مختصّة بهذا الأمر".

ذلك حال كل المدن في المحافظات السوريّة، وعلى الأخصّ في مدينة القامشلي، حيث شهدت هذه المدينة حالات يمكن وصفها بالفشل التعليمي بسبب اضطراب حالة التعليم، فمن المعروف أنّ مدينة القامشلي واقعة تحت سيطرة الإدارة الذاتية الديمقراطيّة كمرحلة في الاعتماد على الذات لإدارة هذه المناطق، لكن لا يخفى على أحد أيضاً أنّ النظام السوري لا يزال يطبّق قوانينه ولو بالقدر اليسير منها!! ويخبرنا السيّد حسن معّو وهو معلم مدرسة: "منذ بداية العام الدراسي

الجديد هناك حالات من التخبّط فيما يخص التعليم في مناطق محافظة الحسكة وعلى الأخص في مدينة القامشلي، حيث ارتأت هيئة الإدارة الذاتيّة الكرديّة وقبل بداية العام الدراسي إدراج منهاج تعليم اللغة الكرديّة إلى جانب اللغة العربيّة - التي لا تعتبر لغةً وافدة في كل الأحوال - بعد منع هذه اللغة طوال السنوات الماضية من قبل السلطات السوريّة، وما حصل أننا فوجئنا بعد طباعة الكتب والوقوف على طريقة التدريس وأسلوبية المنهاج بأنّ مديرية التربية في الحسكة قامت بإصدار كتاب رسمي موجّه من قبل وزارة التربية يقضي بمنع تعليم اللغة الكردية كمنهاج دراسي، وفي هذه الحالة شهدت المدارس تخبُّطاً زاد من فرص التسرّب الدراسي وانعدام الثقة بالتعليم".

وعن أهميّة إدراج مواد دراسية جديدة يقول المرشد الاجتماعيّ فواز ابراهيم: "إنّ عملية إدراج مواد جديدة في المنهاج الدراسي بات أمراً ضرورياً، وخاصّة في ظلّ المناهج التي كانت مقرّرة من قِبَل الحكومة السوريّة وخاصّة مواد دراسية مثل التربية القومية ومواد أخرى لم تكن سوى إملاءً من النظام السوري وأجهزته الأمنيّة".

وقد بدأت الإدارة الذاتيّة الديمقراطية من خلال هيئاتها المختصّة بالتعليم بتوفير - المناهج اللازمة والمفيدة للتلاميذ في المدارس ولكن هنالك صعوبات جمّة تعترض سبيل هذه الهيئات المختصّة ومنها على سبيل المثال هجرة أغلب المعلمين خارج البلاد، وأيضاً معاناة المعلمين الذين فُصلوا من مدارسهم بسبب تهمة التظاهر وهذا الإجراء أثّر تأثيراً كبيراً على التلاميذ وانخفاض الكادر التدريسي في البلاد، وعلى الأخصّ الكادر الذي يقوم بتدريس اللغة الكرديّة المقرّرة حديثاً.

لكنّ المشكلة لا تكمن في إدراج مواد جديدة أو حذف مواد قديمة أو تطويرها، المشكلة تكمن لدى التلاميذ الذين يعانون من هذه الأزمة التي تجتاح قطاع التعليم، يقول التلميذ علي أبو زيد وهو تلميذ في الصف السادس الابتدائي: "قديماً كنت أعشق المدرسة وأعدّ الأيّام كي ألتحق بالدوام، لكن الآن وبعد الفوضى التي أراها في المدرسة وعدم انتظام المناهج فإنّ ذلك يسبّب ضيقاً بالنسبة إليّ، ثم إنني لا أرى أصدقائي القدامى لأن الجميع هاجروا وهذا ما يسبّب لي تراجعاً في الدراسة".

إن مشكلة التعليم في مدينة القامشلي باتت أمراً خطيراً من ناحية الفوضى الحاصلة، مناهج تُعدُ وأخرى تُزال وكلّ ذلك ضمن ظروف قاسية تمرّ فيها القامشلي سواءً من ناحية المعيشة أو من ناحية الوضع الأمني السيء، الذي يتسبّب في إضفاء طابع الجهل الذي سيؤدّي في النهاية إلى خلل أكيد في تعليم الأجيال الجديدة التي تعيش زمن الحرب وهذا بالتأكيد سيؤثّر على نمط التعليم السائد مستقبلاً، ومن هذا المنطلق فعلى السلطات التي وضعت على عاتقها مهمّة إدراج وإلغاء مواد دراسيّة معيّنة أن تكون على دراية تامّة بمخاطر التلاعب بالمناهج والمشاكل التي يمكن أن تتسبّب بها الفوضى الحاصلة في مجال التعليم.

جامعة حلب، هذا حقاً هو "كراندايزر"

■ حلب - فؤاد الأحمر

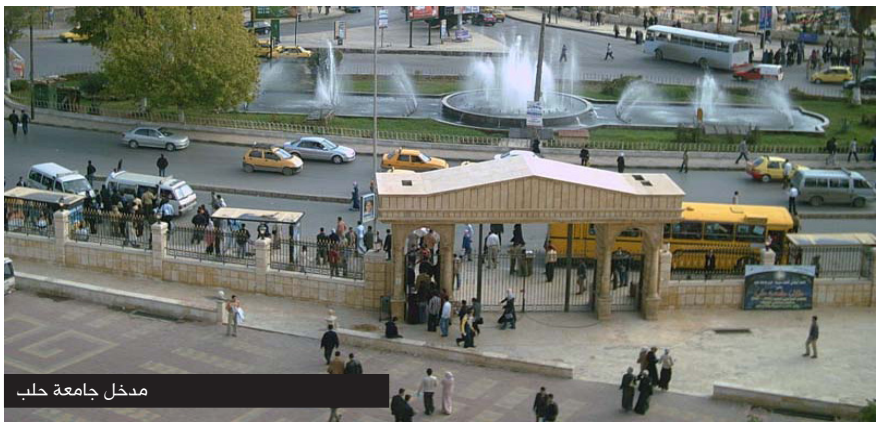

مدخل جامعة حلب

صحفي شجاع يظهر في جامعة حلب، ينتقد رئيس الجامعة وابنه بمقال ساخر نشر على "قناة الخبر" الموالية وأحدثت هذه المادة الإعلامية ضجة في الوسط الجامعي، ونالت متابعة كبيرة في الشارع الحلبي، فلأول مرة يتجرأ صحفي على مهاجمة مسؤول في حلب بهذه اللهجة الساخرة، حيث وصف الصحفي ابن رئيس الجامعة باسم "كرانديزر" متهماً إياه بنيل شهادة في الماجستير خلال فترة قصيرة جداً لم تتجاوز اليوم الواحد مستغلاً منصب والده، كما اتهم الصحفي رئيس الجامعة بإقامة صفقات مشبوهة كان آخرها أنشاء سور المدينة الجامعية الذي كلف الجامعة 80 مليون، واستمر الترويج الإعلامي لهذه المادة الإعلامية وللخبر الذي تحمله من خلال صفحات "الفيس البوك" ليصدر بعد يومين من نشر التحقيق مرسوم جمهوري موقع من بشار الأسد يقضي بعزل رئيس جامعة حلب.

ومازالت الصورة ضبابة وغامضة لدى الكثير من السوريين وخاصة الطلاب والأساتذة في جامعة حلب ما دفع (سوريتنا) للتحري حول أسباب هذه الإقالة ومدى صحة الاتهامات التي وجهها صحفي "الخبر" لرئيس الجامعة.

رئيس الجامعة عزل قبل نشر التحقيق

وكانت أول الحقائق التي انجلت لسوريتنا عن طريق أحد موظفي رئاسة الجامعة، الذي صرح لنا مفضلاً عن الإفصاح عن أسمه " تغيب رئيس الجامعة عن اجتماع الرئاسة الأسبوعي والذي كان يوم الثلاثاء 25 تشرين الثاني أي قبل نشر "قناة الخبر" لتحقيقها بيومين وأخبرني سكرتير رئيس الجامعة بأن وزير التعليم العالي قد أبلغ رئيس الجامعة بمكالمة هاتفية في صباح ذات اليوم بإنهاء تكليفه كرئيس للجامعة ومن بعد هذا اليوم لم يحضر الدكتور محمود إلى مكتبه وكلف مباشرة نائبه بتسيير أمور الرئاسة".

كما يوضح لنا الموظف ذاته السبب الحقيقي لإقالة رئيس الجامعة "شهد آخر اجتماع لرئيس الجامعة مع عمداء الكليات مشادات كلامية بين رئيس الجامعة وعميد كلية الاقتصاد وأحد أعضاء مكتب اتحاد الطلبة كما توعد عميد الاقتصاد في نهاية الاجتماع بإقالة رئيس الجامعة خلال أيام، وتمكن من ذلك بعد أسبوع من الاجتماع مستغلا المعارف والعلاقات التي يملكها مع ضباط الأمن والمسؤولين، ولكن الإعلان عن قرار العزل تأخر.

ابن رئيس الجامعة "كبش الفدا"

كان المهندس أحمد ابن رئيس الجامعة ضحية لعداوات والده حيث تبين لسوريتنا أن كل الاتهامات التي وجهها الصحفي في مادته عارية عن الصحة، حيث اتهم صحفي تلفزيون "الخبر" المهندس أحمد بأنه أستغل منصب والده ليحصل على شهادة في الماجستير من كلية الهندسة المدنية بزمن قياسي واتهمه بأنه سجل على الرسالة ودافع عنها وحصل عليها في يوم واحد.

لكن ما علمته سوريتنا من زملاء أحمد في قسم الإدارة بأن "أحمد هو أقدم الطلاب في القسم وهو خريج دفعة عام 2010وقد أنهى مرحلة المواد منذ سنتين وقدم للدكتور المشرف عليه ثلاث "سيمينارات" ودافع عن رسالته مرتين في الفترة التي لم يكن فيها والده رئيسا للجامعة. ويضيف زميل أحمد " لم يدخل أحمد إلى الجامعة بموجب مقعد والده بل بموجب مجموعه العام في الشهادة الثانوية، وكان من المتفوقين في الكلية طيلة سنوات الدراسة وفي مرحلة الماجستير واستحق الشهادة التي نالها".

ولم يكتف الصحفي بتلفيق التهمة السابقة بل وصف ترقية المهندس أحمد في وظيفته بالأمر المعجزة، وبأنه قفز على حواجز الزمن، فأستغل الصحفي عدم دراية الناس بأن أمر الترقية هو شيء روتني يحدث تلقائيا بمجرد أن ينال الموظف شهادة أعلى من الشهادة التي كان يحملها وأن أي مهندس يحق له أن يوظف بعد تخرجه بدون أي وساطة.

سور المدينة الجامعية

استغل الصحفي قضية بناء سور المدينة الجامعية الذي كلف الجامعة 80 مليوناً لكي يهاجم بها رئيس الجامعة في مادته حيث وصفه بأنه المسئول الوحيد عن هذا القرار وأنه عقد الكثير من الصفقات المشبوهة مبرئا جميع أعضاء المكتب الهندسي في جامعة حلب، وتكشف لنا المهندسة فاطمة وهي موظفة في المكتب الهندسي في الجامعة عن المسؤول عن قرار بناء سور المدينة الجامعية "إن قرارا بناء السور جاء بقرار من المكتب الهندسي وكان قد طرح القرار في اجتماع رئاسة الجامعة وو وضع رئيس المكتب تكلفة أولية لبناء السور لا تتجاوز 11 مليوناً الأمر الذي جعل رئيس الجامعة يوافق على هذا القرار، وبعد أن صدر بدأ أعضاء المكتب الهندسي والمتعهدين يقيمون الصفقات السرية وبدأت تكلفة السور ترتفع شيئا فشيئاً إلى أن وصلت إلى 80 مليون".

مدينة الباب بحلب، مدرسون وطلاب ضحايا الدولتين

■ ريف حلب الشرقي - جلال زين الدين

مـا زالت العملية التربوية تواصل انحدارها فـي مدينة الباب وكل ريف حلب الشـرقي، وربما اقتربت من حـد الانهيار فبعد قصف قسـم من المـدارس، وتحول آخـر لمقرات عسكرية، وآخر لملاجئ إيواء للنازحين جاء قرار تنظيم الدولة بإغلاق المدارس نهائياً.

تدمير مزدوج

ويعلق الأسـتاذ محمود ع مـن مدينة الباب على قـرار التنظيـم إغلاق المـدارس في ريـف حلـب بأنـه "سـيؤدي لتدميـر أجيال كاملة، فالعملية التربوية كانت عرجاء قبل إغلاق المدارس فما بالك بعد إغلاقها".

واكتفـى المسـؤولون عن ديـوان التعليم التابـع لتنظيم الدولة بحـث أهالي الطلاب علـى الصبـر، والتأكيـد علـى أنّ إغـلاق المـدارس الحكوميـة والخاصـة وانتظـار مدارس التنظيم خير من تعلم "الكفر".

ولم يستطع الأهالي فعل شيء أمام خطوة التنظيـم، فهو لا يسـمح بمجرد مناقشـة قراراته، فقد أوضح الأستاذ محمود "رفض المشـرفين على التعليم في تنظيم الدولة أيّ حـوار ورفضـوا رجاءهـم باسـتمرار العمليـة التربويـة ريثمـا تجهـز مناهـج التنظيم أو مدارسه".

أدت الخطـوة لحرمـان الآلاف مـن التعليم، وعبـرت المربية أم محمد مـن مدينة الباب عـن رفضهـا ورفـض الكثيريـن إرسـال أولادهم إلى مدارس التنظيم لأنها حسـب رأيهـا "سـتغرس في عقـول الأبنـاء فكراً متشدداً يجعل منهم مقاتلين لا علماء".

حلول بديلة غير كافية

ابتكرت بعض الحلـول للالتفاف على قرار التنظيم ولا سيما أنه منع المدارس الخاصة والمعاهـد، تمثلـت بتعليم الصغـار مبادئ القراءة والكتابة في البيت عبر شراء الكتب مـن السـوق السـوداء، واللجـوء للدروس الخصوصيـة للطـلاب الأكبـر سـناً ولكنها تبقى خطوة محدودة لا تتجاوز 5٪ من عدد الطلاب لأن معظم الأهالي لا يسـتطيعون تأمين المال للدروس الخصوصية السرية.

وتعاون قسـم مـن المعلمين فيمـا بينهم على تشـكيل خلايا تعليمية يدرسون فيها أولادهم وأولاد المقربين منهم عبر عملية تبادلية، فيجتمع مـدرس رياضيات ليدرس أولاد مدرس اللغـة العربية، ومدرس اللغة العربيـة يـدرس أولاد مـدرس الرياضيات وهكـذا مـع بقيـة المـواد، ولكنهـا تبقـى خطـوات آنيـة وتعرض المعلميـن للخطر، فهي تمثل تحدياً للتنظيم.

ولكـن العـبء الأكبر سـيكون على طلاب الشهادتين، يقول المدرس أحمد من مدينة منبج "الكارثة في عقلية التنظيم والذي قد يمنع الطلاب من السفر إلى مناطق النظام لتقديـم امتحانات الشـهادتين الأساسـية والثانوية سيما وقد ضايقهم في امتحانات السنة الماضية".

كيف جاء قرار الإيقاف؟

لم يكن قرار إغلاق المـدارس مفاجئاً فقد أوضح الأسـتاذ عبدالله مـدرس لغة عربية مـن ريـف منبـج أنّ التنظيـم طلـب مـن المدرسـين تهذيب المناهج، واستبعاد كل ما يسـيء للديـن، ويمجد الأسـد ونظامه، أو يشـير للاشـتراكية والقومية والعلمانية وحب الوطـن في إطاره الوطنـي، ثم ألزم المعلميـن الخضوع لدورات شـرعيّة، ومع بدء العام الدراسـي منـع التنظيم تدريس كل المـواد مسـتثنياً اللغتيـن العربيـة والأجنبية والرياضيات قبل أنْ يصدر قراره الأخير بإغلاق المدارس.

معاناة المعلمين

ولـم تقتصر آثار تدهـور العملية التربوية على الطـلاب بل تجاوزتها إلـى المعلمين، فقـد تعرض المعلمـون للاعتقال من قبل النظام والتنظيم، وهم يمثلون الشـريحة الأكبر التي قطع النظام رواتبهم، ويخشى البقيـة أنْ تؤدي خطـوة التنظيم إلى قيام النظام بقطـع رواتبهم التي لم تعد تكفي لسـد الرمق، هذا الراتـب الذي يمر صاحبه برحلـة طويلـة مـن العـذاب والمخاطـر للحصول عليه.

يقول الأسـتاذ ف ع من جرابلس: "الطريق إلى حلب يستغرق ثماني ساعات، ونتعرض لإهانـات لفظية من حواجـز التنظيم الذي يحتقرنـا لأننـا نتقاضى رواتبنـا من نظام كافـر، ومن حواجز النظام لأنهم يعتبروننا حاضنـة للإرهابييـن، واعتقـل كثيـر من الزملاء أثناء قبض الراتب. وقد دفعت هذه الأمـور وغيرها كثيراً من المعلمين للهجرة إلى تركيا".

ثقافة "حرام يا شيخ" وتخبط تعليمي يُقلق "رعايا الخليفة"

■ ليلى العبد اللّه

إحدى مدارس دير الزور قبل سيطرة «تنظيم الدولة»

يتذكر ساخراً تلك اللحظة التي أجبر فيها على توقيع التعهد بعدم إلقاء التحية أو التحدث إلى أي معلمة تعمل في المدرسة التي كان يديرها، يحكم قبضته على قصاصات ورق صغيرة، قبل أن يحولها إلى قطع يرمي بها في فضاء دير الزور المدينة التي ضاقَ ذرعاً بها، يفكر بالسفر إلى تركيا هرباً برأسه المثقل بالتناقضات والمآسي، سعيد بأنه ما يزال يحتفظ به، "محمد" الذي قضى السنوات الأخيرة في التعليم والإغاثة، لم يكن يخشى نظام الأسد حين عمل باسمه الصريح، يضغط بإبهامه على أحد صدغيه صعوداً ونزولاً، يطلب منّا عدم ذكر اسمه خوفاً من "داعش".

كان يملك الاستعداد للتسليم بأي شيء يطلب منه للحفاظ على مستقبل المدرسة التي كان يديرها و-ربما- الحفاظ على رأسه متصلاً بجسده لأطول فترة ممكنة، حاله حال الكثير من العاملين في قطاع التعليم في المناطق التي تسيطر عليها "داعش"، يتحدث محمد عن التخبط التعليمي الذي تعاني منه "الدولة" في دير الزور وانعكاسه على آلاف من الأطفال كان من المفترض أن يكونوا في مدارسهم الآن، "نحن نتحسر اليوم على المدارس التي أنشئت في ظل الحرب الدائرة في سوريا على بساطتها، لأن ما حدث خلال الأسابيع الماضية في المناطق التي تسيطر عليها الدولة عصي على الوصف، بدأت الأزمة حين أصدر التنظيم -من خلال ما أسماه ديوان التعليم- مجموعة من القرارات منها إلغاء العديد من المواد كالتربية الوطنية والاجتماعية والتاريخ والفنون التشكيلية والرياضة، وجاء في البيان أن مواداً أخرى ستضاف تعويضاً عن هذه المواد مع التدخل في كل من العلوم والفيزياء والرياضيات بطريقة هزلية تتناسب مع إيديولوجيات "داعش"، يتحول معها المعلم إلى مجرد أضحوكة، ينطق بما لا يفقه، هذا بالإضافة إلى شروط أخرى تتعلق بالفصل بين الذكور والاناث فوق سن العاشرة، وضرورة الالتحاق بدورات شرعية بالنسبة للمعلمين".

داعش تمنع تدريس القرآن الكريم

كل ذلك اعتبر مؤشراً خطيراً حول النية التي تبيتها "داعش" لإدارة المنطقة تعليمياً، إلا أن الأمر لم يتوقف هنا، فقد عادت لتصدر قرارات أكثر تشدداً حيث طاف رجالاتها على المدارس الموجودة في المنطقة وأبلغوهم أن الفصل بين الذكور والإناث يبدأ من عمر 6 سنوات وما فوق، وتم الطلب من كل مدير مدرسة التوقيع على مجموعة من الشروط، يمكن تصنيفها في فئة "المضحك المبكي" وفق تعبير محمد الذي أكد أن من بين الشروط ، "أن أي مدرسة للذكور لا يجوز أن تدخل إليها أنثى تحت أي سبب من الأسباب بحيث يكون كل المتواجدين في المدرسة من الجنس نفسه، ولا يجوز لمدير المدرسة أن يرتبط بأي صلة مع معلمات مدرسة الاناث التي تتبع لسلطته ، كما لا يجوز لأي معلم "ذكر" أن يمر بجانب جدار مدرسة الإناث، ويمنع كذلك على المعلمات "المكللات بالسواد أساساً" أن يرفعن الغطاء عن وجوههن أمام الطالبات في الصف".

ثم عاد مندوبو "داعش" مجدداً لمنع تدريس القرآن الكريم في مدارس المنطقة، خوفاً من أن يدرسه شخص غير جدير بحمله، وفق تعبير أحد قيادات التنظيم والذي ذهب في تشدده أبعد من ذلك حين دعا إلى منع تدريس المواد الأساسية كاللغة العربية والرياضيات بحجة أنها تنتمي إلى "مالا يمكث في الأرض" وواصل حديثه على الملأ بأن "الطفل حين يذبح يجب أن تكون "زمرة دمه الإسلام" دون أن يوضح سبب ذكر الذبح هنا.

المدارس قبل وبعد الأسود

وقبل البدء في الجهود غير المثمرة من قبل "داعش" لتنظيم العملية التربوية فإن التعليم في المنطقة الشرقية قبل قدومها كان يقسم إلى قسمين، الأول يتمثل في المدارس التي تشرف عليها "وزارة التربية التابعة لنظام الأسد" حيث أبقت المعارضة المسلحة على الارتباط بين المناطق التي تسيطر عليها وبين النظام "تعليمياً" لعدم توفر الامكانيات التي تؤهلها لتأمين احتياجات المدارس ورواتب المعلمين، وأبقى النظام على هذا الارتباط لأثره المعنوي على السوريين على كلا الجبهتين، فظل يمارس من خلاله سلطته على المعلمين ويجبرهم على زيارة المناطق التي تقع تحت سيطرته وقتما يشاء، أما القسم الثاني فيتمثل في المدارس الأهلية التي تم إنشاؤها بدعم من جمعيات محلية أو منظمات دولية.

القسم الأول من المدارس أجهزت عليها "داعش" من خلال عزمها على قطع الارتباط التعليمي بالنظام والسيطرة على مقار التوجيه التربوي في العديد من المناطق كان آخرها بتاريخ 26 / 10 / 2014 حين عمل على تحويل التوجيه التربوي في مدينة الميادين (45 كم عن مركز المحافظة) إلى مقر من مقراته، وكذلك مقر التوجيه التربوي في البوكمال، والذي اقتحمته بتاريخ 7 / 11 / 1014، فك الارتباط هذا سيولد أزمة ترتبط بتعيين المعلمين الوكلاء والذين يشكلون غالبية الكوادر التعليمية في الريف، بالإضافة إلى مشاكل في الشهادتين الاعدادية والثانوية والدخول إلى الجامعة.

أما القسم الثاني والمتمثل في المدارس التابعة للمنظمات الأهلية فقد تضافرت عدة عوامل لإنهاكها والاجهاز عليها، كان أولها حجب المنظمات الداعمة التمويل عن المناطق التي تقع تحت سيطرة "داعش" بما في ذلك المنظمات العاملة في المجال التعليمي، وكأنها تشد على يدها وتساعدها على إغراق المنطقة بالمزيد من السواد، وفي حال توفر هذا الدعم فإنه يجلب معه قدر كبير من الضغط النفسي لأنه قد يشكل حجةً تطيح برقاب المسؤولين بحجة التعامل مع غير المسلمين لإفساد جيلٍ من صغارهم.

"حرام يا شيخ .. وامرأة ملفوفة بالأسود"

وتقول سمر، سيدة من دير الزور، وهي تمسح على رأس طفلها الذي تنوي الهرب به من بين براثن "داعش" لا يوجد في رأس "الداعشي" إلا أمران امرأة ملفوفة بالأسود، وعدد لا يحصى من العبارات التي تلي لازمة "حرام يا شيخ" وهذه العقلية لا يمكن أن تقود إلا إلى مزيد من العتمة، وهذا الأمر يعتبر الاختبار الأول للأهالي فيما يتعلق باحتمالهم لفكرة تحكم "داعش" بمستقبلهم، هناك قلق واضح لدى الأهالي يزداد مع ازدياد عدد الأيام التي يقضيها أبناؤهم بدون دراسة، وتجلى ذلك في أول مظاهرة يقوم بها أطفال صغار في دير الزور في السادس من الشهر الجاري، ضد تنظيم الدولة لكنهم لم يسجلوا اعتراضهم على الجدران كما فعل أطفال درعا، بل سجلوه بأصواتهم الندية".

ومع عجز "داعش" عن إدارة العملية التربوية وطباعة مناهج تتوافق معها، يتم الاجهاز على القسم الأول من المدارس بحجة العداء مع النصيرية والثاني بحجة الخوف من تسرب بذور الإلحاد مع دعم الممولين، ولا تجد "داعش" حرجاً في ترك مئات الآلاف من الطلبة خارج المدارس (والعام الدراسي على وشك أن ينتصف) مهيؤون أكثر للانضواء تحت رايتها.

الطريق إلى السويد بالصوت والصورة

سوري يوثق الرحلة غير الشرعية بهاتفه النقال

■ عامر محمد

يلتقط محمود أنفاسه وهو يصور لحظات وصوله الأولى إلى اليونان - التي لا يزال عالقاً فيها حتى اليوم - الفيديو المسمى "سوريون أول وصولهم إلى جزيرة يونانية" الذي تظنه مجرد دعابة في البداية، يضحك فيه الشاب ويقول إنه في أرض لا يعلم فيها إلا الله، يجول في الكاميرا على الأرض الفارغة التي "لا بشر فيها" لكن الطريق طويل فعليه تجاوز جبلين، صوته وتعابير وجهه توحي بحماسة كبيرة تعتريه في تلك اللحظات، قبل أن يختم المقطع "٣٧ ثانية" متمنياً للمتابعين أن يصبحوا على وطن، ويطفئ الكاميرا ويتابع التسلل غير الشرعي.

كغيره من آلاف الشبان السوريين يحاول محمود بيطار "22 عاماً" الوصول إلى السويد ليكون لاجئ هناك، بعد سنوات ثلاث من الترحال في تركيا ومصر وليبيا، حالماً بالكامب والراتب الشهري والمستقبل الأفضل، لكن محمود لا يكتفي بالرحلة الشاقة وحسب، بل يحاول أن ينقل لأقرانه تفاصيل تجربته الخاصة والقاسية كما يصفها، عبر مقاطع فيديو يواظب على نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، المقاطع التي تلقى متابعة كبيرة كان الهدف منها بالنسبة لبيطار أن تكون وثيقة شخصية يعود إليها في يوم من الأيام ليرى كيف كانت رحلته، لكنها تحولت اليوم إلى دليل مصور يروي بعض تفاصيل الطريق غير الشرعي نحو أرض الأحلام السويد.

نام بيطار في شوارع تركيا حين وصل إليها، ولم يعد قادراً على العودة إلى سوريا يقول لسوريتنا "تجولت في كل تركيا وعملت بمختلف المهن، عملت أحياناً لثمانية عشرة ساعة في اليوم، ثم قررت التوجه إلى أوربا بعد أن انتهت صلاحية جواز سفري" حين بدأ بيطار بنشر مقاطع الفيديو التي يصورها لنفسه كان يريد أن يتكلم فقط حين لم يجد من يسمعه "كنت قريباً من الانفجار، لم أجد من أبوح له بكل ما اشعر به، فبدأت أصور كل حدث أعيشه، وأروي يومياتي بطريقة بالفيديو" فوجئ بيطار من الاقبال على متابعته "كانت تلك الفترة سوداء تماماً، فقد غادرت سوريا بعمر الثامنة عشرة وكنت مسؤولاً عن عائلتي ومعيلاً لها، كان كل من حولي في تركيا يتحدث عن الهجرة أو اللجوء إلى أوربا، فاتخذت قراري وسلكت طريق البحر، صورت كل الرحلة، كيف نمت في الغابات وما كان طعامي، وماذا كنت ارتدي".

لا تمتاز مقاطع الفيديو التي ينشرها بيطار بأي تقنيات عالية وهي قصيرة جداً في الغالب، فهو يصور عبر هاتفه المحمول وبمساعدة بعض أصدقائه تلك الحكايات، يواجه الكاميرا ليقول بعض النكات أحياناً، وقد يقدم بعض النصح لحديثي الاغتراب، وقد يعلق على تصرفات بعض المشاهير العرب، أو يروي لنا حلمه المتكرر "الوصول إلى السويد" منتقداً تجار عمليات تهريب البشر الذين جمعوا ملايين الدولارات غير مكترثين بأبسط قواعد السلامة خلال الرحلة، فيما يتابعه أكثر من 100 ألف من رواد شبكات التواصل الاجتماعي عبر عدة حسابات يديرها بنفسه، ويتلقى عبرها عشرات الرسائل من سوريين داخل البلاد وخارجها يسألونه عن الطريق والرحلة وتفاصيلها.

لا يفكر بيطار بالعودة إلى سوريا لأنها "راحت" وقد رفض عروض تلفزيونية انهالت عليه سابقاً ليقدم انتاجه بطرق احترافية أكثر، سبب الرفض هو أن هذه المؤسسات لا تشبهه "لا أفضل الحديث بطرق طائفية أو تحريضية، أنا أحاول فقط زرع بسمة في ظل كل ما نعيشه ونعانيه كسوريين، أنا أقوم بنقل الواقع فقط هذا هو مجالي الحقيقي".

وهو لا يعتبر أنه نجم اليوم لكنه يؤكد أنه لا يتلقى نقداً حاداً من متابعيه على عكس آخرين يمارسون ذات النشاط على الشبكة، وهدفه الأساسي هو "إيصال رسالة لكل من يود الوصول إلى السويد، أخبرهم بأفضل الطرق وأقدم لهم بعض التوجيهات".

سألت محمود ما ستفعل حين تصل إلى السويد؟ قال إنه يريد أن يصل إلى "الكامب" ويشتري كاميرا صغيرة ويسجل عبرها ما سيعيشه هناك، هذا كل حلمه اليوم، وبالنسبة لسوريا التي غادرها في "ليلة لا قمر فيها" فإن العودة إليها ستكون بذات الوصف والحالة، وينصحكم بمتابعة واحد من فيديوهاته اسمه "الغربة" وهو فيديو يصفه بالحزين، لكنه يحبه.

بلا موسيقى أو ولائم، أعراس دير الزور الاحتفال الصامت

■ دير الزور - عادل العايد

منع تنظيم الدولة الإسلامية على ريف دير الزور، إقامة الأعراس التي كانت تتم في المنطقة بشكل مختلط بين النساء والرجال، مما أدى إلى فقدان كثيرين من العاملين في مهن تعتمد على تلك الأعراس لمورد رزقهم الوحيد، وفقدان وجه من أوجه التعاون المشترك بين الأهالي.

لا فرح مع حزن من حولك

تعتبر الأعراس التي تقام بالطريقة الشعبية في ريف دير الزور، من أبرز الاحتفالات لأهالي المنطقة، وكانوا قبل الثورة يولون اهتماماً بالغاً بها وبحضورها، أما بعد الثورة ولعدة أسباب، تراجع الاهتمام بها وأصبح الزواج يتم بشكل مختصر جداً.

ويؤكد ذلك أحمد نور من أبناء ريف دير الزور: "الأعراس قبل الثورة كانت تتميز بأجواء احتفالية أكثر من الآن، حيث كانت تقام فيها الولائم لأهل القرية والقرى المجاورة، وتعتبر وسيلة لإبراز القوة والمال بالنسبة لأهل العريس، أما الآن فإنها تتم بشكل مختصر جداً حيث لا تقام ولائم ولا عرس بما يتبعه من حفلة أو ما يسمى محلياً (الدبكة)".

وعن الأسباب التي تدفع الأهالي لعدم الفرح بالطريقة المعهودة من قبل، تقول ساجدة 45 وهي أم زوجت ابنها البكر منذ فترة وجيزة "الوقت حالياً غير مناسب للفرح، لا يمكن لك أن تفرح وجيرانك يتألمون على من فقدوهم خلال القصف وخلال المعارك، أو أقاربك الذين تحترق قلوبهم على أبنائهم المعتقلين لدى النظام".

ويضاف إلى ذلك الأوضاع الاقتصادية المتردية، حيث يشير ياسين 28 عاماً، "أن الغلاء المتزايد وندرة الموارد، تلقي بظلالها على الأهالي الذين يعزفون عن إقامة أعراس كبيرة، فتكاليف الأعراس وفق النمط القديم، الذي يتضمن ولائم للحضور والأقارب أصبحت مكلفة جداً، فتكلفة الوليمة لوحدها أصبحت تتجاوز 400 ألف ليرة سورية، لذلك يقتصر الحضور على العائلة فقط".

الشرع يمنع

مع سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على ريف دير الزور، قام بمنع حفلات الأعراس التي كانت تقام في المنطقة بدعوى عدم جواز اختلاط الجنسين، ويؤكد شهود عيان من ريف دير الزور، أن أفراد التنظيم يقومون بمهاجمة أي عرس مختلط يقام في المنطقة، فقد هاجم عناصره إحدى هذه الحفلات في ريف دير الزور الغربي، واستخدم العناصر المهاجمون الهراوات بقسوة لإخافة الناس وتفريقهم.

يقول حمد المحمود من ريف دير الزور "إن الناس متخوفون من الإجراءات التي يمكن أن يتخذها التنظيم بحقهم، في حال تنظيمهم لحفلة لعرس، لذلك يعمل أصحاب العرس إلى اختصار هذا الاحتفال، وإحاطته بنوع من السرية، أما الناس هنا فلم تعد تذهب إلى الأعراس، الإقبال كان أفضل قبل سيطرة التنظيم، وخصوصاً من شريحة الشباب، فالوضع الأمني والاقتصادي كان جيداً مقارنة بالوضع الآن".

طباخ الأعراس في الجزيرة السورية

المتضررون كثر

بمنع حفلات الأعراس تضررت عدة مهن كانت تعتمد عليها في عملها، أو على تجهيز العروس، كمحلات تصوير الأعراس ومصففات الشعر وأصحاب محلات ألبسة وتجهيزات العروس، حيث منعت هي الأخرى لمخالفتها الشريعة الإسلامية حسب ما برر التنظيم ذلك.

يقول عمر علي صاحب محل تصوير للأعراس "كانت مهنة جيدة لي، كنت شغوفاً بالتصوير منذ الصغر، لذا عملت على تعلم هذه المهنة والعمل فيها، وهي تعطي مردوداً جيداً، وحتى بعد الثورة كان العمل لا بأس به، لكن مع منع التنظيم لهذه المهنة، تدهورت أوضاعي المادية والتي كانت تشكل مورد رزقي الوحيد، ولا أستطيع حالياً الذهاب لتصوير حفل ما، لأنه بمجرد اكتشافهم لمعدات التصوير معي على أحد حواجزهم سوف يعتقلوني".

وعن توقف العمل في العديد من المهن الأخرى، يقول سامر 28 عاماً من ريف دير الزور "توقفت محلات تجهيز العروس عن العمل بشكل كامل، بعض مزينات ومصففات الشعر اعتقلن، وأقيمت لهن دورات استتابة أو ما تسمى دورات شرعية، أما عن المطربين فهم مهددين من قبل التنظيم بالقتل، إن ألقي القبض عليهم وهم يحيون حفلات الأعراس، باعتبار أنه يقوم بعمل منافي للشرع".

بينما يرى خالد وهو ناشط من ريف دير الزور، "أن الأعراس كانت تعبير عن روح التعاون والتضامن لدى أبناء العشيرة أو القرية الواحدة، حيث يجتمع أهل القرية ويقدمون المساعدات المالية والعينية للعريسين وأهلهما، ومنع هذه الأعراس بالطريقة التي كانت تتم بها من قبل هو إضعاف للبنية الاجتماعية في المنطقة وقد يدفع الأهالي نحو مزيد من التقوقع والانعزال".

أزمة المثقف وإخفاق الثقافة

■ ياسر مرزوق

في الأيام القليلة الماضية رحل عن عالمنا العربي أربعة من الكبار، السيدة صباح وسعيد عقل ونهاوند ورضوى عاشور، كُتب عنهم الكثير، وكان مقرراً أن يحل سعيد عقل ضيفاً على زاوية وجوه من وطني وهو الذي أبدع "قرأت مجدك وزهرة المدائن"، إلا أن غربان الثقافة التي حامت على جثة الراحل هي ما استفزني لكتابة ملفنا اليوم في تحيةٍ لسعيد عقل ونعيً للمشهد والمثقف العربيين.

قبل انطلاق مراسم دفن شاعرنا الكبير، وبعد دقائق من إعلان وفاته، بدأ طاحون الشر بالدوران على مواقع التواصل الاجتماعي، وجرى استحضارٌ ساذج للقاء عقل مع التلفزيون الاسرائيلي مطالع الثمانينات من القرن الماضي، وكأن الاقتتال الذي وصل حتى داخل المذهب الواحد بين حزب اللّه وأمل وبين أجنحة القوات اللبنانية ووحدات من بقايا الجيش النظامي ميشال عون، حتى استنفذت الساحة اللبنانية أدوارها الاقليمية والدولية، كان من صنيعة سعيد عقل، وكأن اللبنانيين لم يدفنوا الحرب والثأر على مائدة الطائف، وكأن أطراف القتال في الحرب الأهلية من جميع الفئات كانوا ملائكة، ووحده الشيطان هو الشاعر الذي حكى.

وإن كنا لا نؤيد موقف عقل في حينه إلا أننا لا ننسى قامةً عربيةً سورية، ولن ننسى مواقف عقل قبل الحرب الأهلية وبعد الطائف وخلال حرب تموز وغيرها، إلا أن قرناً كاملاً من الزمن قضاه مبدعٌ في هذا الشرق لم تشفع له أمام نعيق الغربان.

ملفنا اليوم وإن حمل في طياته عناوين أزمة المثقف وأزمة الثقافة إلاّ أنه في النهاية تحيةٌ لمن أخرج جني السحر من القمقم بيمينه وحمل سر سليمان في قلبه كي يروض الجني ولا يخرجه عن عقاله.

عن أزمة ثقافية

الثقافة الحقيقية هي التي تنطلق في رؤيتها للحياة من مبادئ راسخة وقيم عظيمة تحترم حرية الإنسان وكرامته، بينما الايديولوجيا تنطلق من رؤية باطنها سياسي وظاهرها مغلف بالثقافة المزورة أو الدين المسيس والمزيف، وكلما تسيس الدين أو الثقافة كلما تحولت القيم إلى قيود يستخدمها الجلادون لتكبيل حرية الإنسان مما يجعلها منافية لمبادئ الفكر القيمي المنتج للثقافة الايجابية الخلاقة.

"سوف يكون شعب هذه البلاد محظوظاً إن لم يحمل له المستقبل أياماً أكثر سوءاً من الأيام التي أمضاها كارهاً في ظل الانتداب الفرنسي" بهذه الجملة ختم ستيفن لونغريج كتابه "تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي" الصادر عام 1957.

لسوء الحظ مرت أيام أسوء بكثير من أيام الاستعمار الفرنسي، وتتالت النكبات لعل أولها الفشل في بناء دولة وطنية وغياب الاندماج والثقة الوطنية التي تشكل طبيعة النظام السياسي وهيكل أولوياته، أما على الصعيد الثقافي فلنا أن نذكر ما قاله هشام جعيط في كتابه "أزمة الثقافة الإسلامية": "في الجملة، حالة العالم العربي متردية جداً في مجال الارتقاء بالإنسان ومواكبة عصره. ولعل أيديولوجيا التنمية تدخل أيضا في المسببات، لقد قتلونا بإنجازات النسيج والبناء والجلد والحديد والبلاستيك، فنقول: طيب، هذا جيد وحصل تقدم، لكن لا تقلقونا بهذا الأمر، فأنتم ما زلتم بعيدين عن مستوى العالم الحديث في هذا المجال".

ويتساءل فهمي جدعان في كتابه "الطريق إلى المستقبل" عن السر الذي يجعل من الزمن العربي شاهداً على إخفاق الأحلام ببناء نهضة عربية مرتقبة، وعن سر هذا التراجع الكبير عن الأهداف الجوهرية التي نصبها رواد النهضة غاية لهم ولمن بعدهم.

وفي كتابه "سياسات الإسلام المعاصر" يقول رضوان السيد: "خطرت لي قبل سنوات خاطرة نشرتها في إحدى الصحف، مؤداها أننا مختلفون عن العالم كله من حيث أن الثقافة والسياسة في مجالنا العربي تسير في اتجاه معاكس لطبائع الأمور والأفكار. ففي المجال الثقافي، محمد عبده أقل ثقافة وانفتاحا من جمال الدين الأفغاني أستاذه، ومحمد رشيد رضا أقل انفتاحا من أستاذه محمد عبده، وحسن البنا أقل ثقافة وانفتاحا من رائده رشيد رضا، وسيد قطب أقل انفتاحا من رائده حسن البنا، وعمر عبد الرحمن أقل ثقافة وانفتاحا من سيد قطب".

إخفاق الثقافة العربية إخفاق قيمي سببه غياب الحرية، ذلك المقدس الذي لم ينل العرب شرف الانتماء إليه، وقبل أن يكونوا أحرارا لن تكون لهم حضارة وستستمر إخفاقاتهم وأزماتهم وهزائمهم ولن تتجاوز خطواتهم الحضارية نقطة الصفر وسيظلون تابعين للآخر وقابعين تحت هيمنته سواء أراد بهم خيراً أم شراً. لكن اللوم ليس على ذلك الآخر الذي من حقه أن يعتز بحضارته وثقافته ويحافظ على مصالحه وإنما اللوم على العقل العربي الذي لم يستطع التحرر من خرافته وقيوده وجهله البدائي المؤسس.

والأزمة التي يمر بها مثقفونا العرب ليس في الأفق بشائر حل لها طالما ما زال في وطننا العربي أنظمة قادرة على تحجيم وإلغاء دور الثقافي، وطالما هناك أحزاب وقيادات أحزاب رغم برامجها التقدمية والشعارات التي تطلقها، تمارس نفس دور الأنظمة في إلغاء دور الثقافي وجعله تابعاً لها..

المثقف العربي بحاجة إلى مشاريع ثقافية لينهض من أزمته، لينتج إبداعات جديدة، والأهم من كل ذلك إيجاد فسحة من الديمقراطية والحرية لينتقد من أجل التقويم والإصلاح وإلا فإننا ذاهبون جميعاً إلى عصر انحطاط جديد.

معرفة لا جهل فيها لا تبدو.. جهل لا معرفة فيه لا يبدو | الفنان: منير الشعراني

عن المثقف العربي

بعيداً عن متاهات التعريف والتحديد النمطي، يمكن القول إن المثقف هو كل من يعتقد نفسه أو يعتقده الآخرون مثقفاً، ويرى أن له دوراً أو يعتقد الآخرون أن له هذا الدور، وبالتالي يمكن نقده وتقويمه على مدى إنجازه لدوره ومهمته المنبثقين من كونه مثقفاً باعتقاده هو في المقام الأول، وإذا ما نظرنا عملياً إلى طبيعة هذه المهمة أو الدور، فسنجد أنها تنحصر في انتاج الوعي بغض النظر عن الاختلاف في طبيعته، ومن ثم تأسيس سلوك يتماشى مع ذلك الوعي، فكل مثقف يحدد لنفسه دوراً في انتاج وعي معين، سواء أكان ذلك المثقف أديباً أم فناناً أم صحافياً أم غير ذلك.

والوعي بصفة عامة، هو الوسيط بين الإنسان والأشياء، وبين الانسان والانسان، فالوعي هو التمثل الذهني للأشياء والموجودات، وعلى ذلك فإن الوعي وما يشكله، عبارة عن وسيط معرفي يقف بين الإنسان والمحيط الذي يعيشه، بل هو الرابط بين الانسان وهذا المحيط، أي أنه يشكل في التحليل الأخير المورد الرئيسي لسلوك الانسان وردود أفعاله واستجاباته لذلك المحيط، أما كيف يتشكل الذهن وكيف يتحدد العقل وكيف يتكون الوعي بالتالي، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فإن تلك المسألة تتعدد فيها الآراء والاتجاهات، ويكفي القول هنا أن المثقف هو أحد مصادر تكون الذهن وتشكل العقل ومن ثم نشوء

وعي معين وسلوك محدد لدى الجماعة.

ومع بعض الاستثناءات يبقى المثقف العربي مؤدلجاً أكثر من غيره، وقطعياً في مقولاته أكثر من غيره، وأسير الوعي السائد ومنقاداً في مجال إنتاج الوعي أكثر من غيره، ولعل ما ذكرناه آنفاً عن موقف بعض المثقفين من رحيل سعيد عقل أكبر مثال على ذلك.

فلو نظرنا إلى خطاب المثقف العربي ومواقفه من القضايا العامة الكبرى، لتبين لدينا أننا نفتقر حتى اليوم للمثقف الموضوعي البعيد عن الإيديولوجية، هذا الكلام وبحسب عبد الإله بلقزيز في كتابه "إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر" الصفحة التاسعة، وإن كان يصدق على المجموع، فهو لا يصدق منطقياً وعلمياً على أفراده وإلى هذا فهو لا يهتم بالاستثناء بل يهتم بالقاعدة.

والمثقف العربي أياً كانت خلفياته يدور في حلقة مفرغة، مفادها أنك إذا أردت تطبيق الشعار الذي تنادي به، يجب عليك أن تغير المجتمع جذرياً، ولكي تغير المجتمع جذرياً عليك تعميم الشعارات التي تنادي بها أولاً، ولعل ما وصل إليه الخطاب الاسلامي في مصر بعد وصوله إلى السلطة، خير دليل على تلك الدائرة التي تحيط بالوعي العربي وتخنقه، فبحسب الخطاب المذكور لابد من السلطة أولاً لتحقيق المجتمع الإسلامي، ولابد من المجتمع الإسلامي أولاً لتحقيق السلطة، هنا وجدت هذه الإيديولوجيا نفسها في مأزق، ليس أمامها إلا أن تنكفئ على ذاتها وتحاول اعتزال المجتمع جملة وتفصيلاً، وتكون الغيتو الخاص بها أو أنها تلجأ إلى إعلان الحرب على المجتمع ذاته.

وليست الايديولوجيا الاسلامية وحدها من ترسم الدائرة، فكل خطاب إيديولوجي يعاني المأزق نفسه بشكل أو بآخر، فعندما تحدث خروتشوف في أوائل الستينات عن الشيوعية، كان يقول إن الشيوعية لا يمكن أن تنتصر إلا بانتصار فضائل الشيوعية التي لا يمكن تحقيقها، وفق النظرة اللينينية، إلا عن طريق ثورة النخبة من الثوريين المحترفين والوصول إلى السلطة، والشيء نفسه نجده عند المتحدث الايديولوجي عن الديمقراطية بصفتها نظاماً شاملاً، فلا نجاح للديمقراطية بوصفها نظاماً سياسياً إلا بانتشار القيم الديمقراطية الاجتماعية، ولا يمكن أن تنتشر تلك القيم إلا بقيام نظام سياسي ديمقراطي، كما يقول دعاة الخطاب القومي البحت إنه لا نجاح للوحدة العربية الشاملة إلا بانتشار الإيمان المطلق بهذه الوحدة وفكرها القومي، غير أن هذا الإيمان لا يمكن أن ينتشر انتشاراً ساحقاً إلا بقيام الوحدة نفسها، وإن لم يكن فبقيام إقليم يكون مركزاً للدعوة والتبشير، أي القبض على السلطة بهذا الشكل أو ذاك.

جل المثقفين العرب يملكون مشروعاً متكاملاً حول الدولة والمجتمع، ينطبق على خصوصيات الفرد وصولاً لأدبيات الحكم، على اعتباره يمثل الحقيقة ولا حق سواه، وفي ضوضاء الايديولوجيا يتم إغفال القضايا البسيطة والأساسية في الوقت عينه والتي تعتمد عليها الحياة الكريمة المعاشة للفرد المحسوس، لا ذلك الكائن المجرد في أمة مجردة، ويتم إغفال القضايا الاجتماعية الحقيقية والملحة، لمصلحة قضايا الأمة والقضايا الوجودية.

تحية إلى سعيد عقل

ولد سعيد عقل عام 1912 في مدينة زحلة شاعراً مارداً لقب بالشاعر الصغير لأنه كان شاعراً منذ طفولته، هو شاعر الدهشة والجمال وكثافة الكلمة، وهو من قال في مقدمة "المجدلية": "أرى أن اللاوعي هو رأس حالات الشعر. ورأس حالات النثر الوعي. قبل إبداعي الشعر، بل في ذروة إبداعي، لا أكون واعياً في ذاتي ولا واحداً من الأشياء الواضحة. والثابت أنّ لا أثر فكريّاً ذا قيمة، رياضياً كان أم سياسياً، موسيقياً أم شعرياً، تحقق في الضوء".

هو الشاعر ذهبي الفم الذي قال "حلمت وكان الضحى لم يفق.. بأن وسادك زندي القلق، وفوق محياي، شعرك نهر.. من الذهب المندري المندفق.. أهي مرة، ومراراً أضيع.. كما وردة في العبير العبق.. هويناك، يا حلم.. هذا المساء، ستقسو، وبعد غد سترق.. أنا مرّ أسبوع عمر ولمّا.. أمرّ بدارتها أسترق إلى حسنها.. قلتني بلبل الأيك.. شرده عندليب نزق، تجيء الفراشات محلوليات.. إلى حيف شباكي المنغلق".

سعيد عقل كاهن في معبد الشعر، انقطع عن دراسته الثانوية على إثر رحيل والده، وفي مطالع الشباب عقد صداقات مع قدموس وفخر الدين والأمير بشير وارتحل في سفينة يقودها بحارة فينيقيون، ليعود ويرسم لوحات عن لبنان المجد والفتنة وهو من قال: "هنا تحت كل ترابه.. مفاتن مجد.. هنا الله شرع بابه.. وضمك ضمة وجد.. هنا جبل لا الأساطير أشهى.. ولا الشمس أبهى.. أحايين يغري سهوله.. بفل وورد.. أحايين يلعب يغري البطولة.. برمية نرد".

ثلاث شعراء في جسد واحد شاعر القومية السورية وشاعر الهوية العربية وشاعر اللبنانية المسيحية وربما طغت الأخيرة عندما انتصر الخوف الكامن في داخله كفرد من أفراد أقلية تجرعت عبر التاريخ، كل أصناف الاضطهاد على يد الولاة العثمانيين وغير العثمانيين.

مارس الصحافة والتعليم. لكنه استقر في بيروت في مطلع الثلاثينيّات وكَتَبَ في جرائد "البرق والمعرض ولسان الحال والجريدة"، وفي مجلة "الصيّاد". ودرّس في مدرسة الآداب العليا، وفي مدرسة الآداب التابعة للأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة، وفي دار المعلمين، والجامعة اللبنانيّة. كما درّس تاريخ الفكر اللبناني في جامعة الرُّوح القُدُس وتعمق في دراسة اللاهوت والأدب العالمي وألقى دروساً لاهوتيّةً في معهد اللاهوت في مار انطونيوس الأشرفية، كما درس تاريخ الإسلام وفِرَقَهُ، وأحب في الاسلام أن الله ليس رَبَّ جماعة دون سواها وانّما هو ربُّ العالمين، وهو من غنت له فيروز كاهنة المعبد أيضا:

غنيت مكة أهلها الصيدا والعيد يملأ أضلعي عيدا
فرحوا فلألأ تحت كل سما بيت على بيت الهدى زيدا
وعلا اسم رب العالمين علا بنيانه كالشهب ممدودا
يا قارئ القرآن صل له أهلي هناك وطيب البيدا
من راكع ويداه آنستا أن ليس يبقى الباب موصودا
أنا أينما صلى الأنام رأت عيني السماء تفتحت جودا
لو رملة هتفت بمبدعها شجوا لكنت لشجوها عودا

نادى سعيد عقل بتخصيص ربع الموازنة السنوية للإبداع الفني والمعرفي الذي خلق لبنان وخلقه، وبعد أن أصدر "لبنان إن حكى" وفي عام 1962 جائزة شعريّة من ماله الخاص قَدْرُها ألفُ ليرة لبنانية تمنح لأفضل صاحب أثر يزيد لبنان والعالم حُبّاً وجمالاً.

سعيد عقل شاعر العنفوان الذي قال:

شُغِفتُ أنا بالعُنفُوانِ، خَبَرتُهُ صُنوفاً، وآخاني كما الغَيْمَةَ المُزنُ
ولكنّني للعُنفُوانِ بمِرقَم تمايَلتُ، قُلتَ الطَّيرُ مالَ بهِ الغُصنُ
ستَكبُرُ إن تَهزَم لأنَّكَ فيَّ غَدٍ سَتَرجِعُ رُجْعي السَّيفِ طيَّبَهُ السَّنُّ
وما هَمَّ أن مُتنا ولم نَبلُغ المنى كفى أن مشَينا لا التواء، ولا هَدْنُ

غداً في خُطانا يَجْبَهُ الصَّعبَ نَفْسَهُ بَنُونَ هُمُ الأسيافُ، مِقبَضُها نَحْنُ.

جنح عقل وهو من قارع شعراء الجاهلية بفصاحة شعره إلى أبجدية لبنانية استخدمت الحرف اللاتيني، بالإضافة إلى بضعة أحرف مصممة حديثا وبعض الحروف اللاتينية المعلمة لتتناسب مع علم الأصوات اللبناني احتوت 36 حرفاً.

قبل أيام رحل سعيد عقل وهو من قال: الحياةُ العزمُ، حتى إذا أنا انتهيتُ تَوَلّى القَبرُ عزمي من بَعدي، ونحن اليوم لا ننعي من جسّد الشاعر في أبهى ما يكون الشعر التقى فيه الشاعرُ الفيلسوفَ واللاهوتيّ، والفنّانُ المعلِّمَ والمصلحَ، والأديبُ الخطيبَ الذي تنتظره المنابر، في مواسم البلاغة، وإنما ننعي صفحة طويت من تاريخنا المعاصر ننعي زمن عقل زمن الحلم بالنهضة والجمال ننعي زماننا وزمانه.

أمير الكمان: سامي الشوا 1889 – 1965

■ ياسر مرزوق

ولد سامي الشوا عام 1889 العام الذي شهد مولد عبقريات كثيرة في عالم الأدب والفن، عباس محمود العقاد وطه حسين والأديب ابراهيم المازني وعبد الرحمن الرافعي ونجيب الريحاني وأمير الكمان سامي الشوا، وتختلف المصادر في تحديد مكان الولادة إذ يذكر صاحب الأعلام ميلاده في حي الهزازة بحلب والذي يعرف اليوم بـ«حوش الشوا»، بينما يقول أحمد العلاونة في كتابه «الأعلام» الصفحة 57 أن ولادته كانت في القاهرة عام 1889، وقد حسم الشوا الخلاف حين قال في الفصل الأول من مذكراته: «منذ عام 1867 مكث والدي عامين في مصر قام بعدها برحلة فنية طاف بها مصر والشام واسطنبول ثم حلب لزيارة والده الياس الشوا عاد بعدها إلى مصر ليستقرّ فيها، فاتخذ له مسكناً في باب الشعرية فوق صيدلية «جاماتي» حيث قضى ست سنوات وهناك ولدتُ أنا وشقيقتي جميلة». ويضيف في مكانٍ آخر «وعندما حطّت رحال أبي في حلب ليستقرّ فيها، كنت في السابعة من عمري».

ينتمي الشوا إلى أسرة فنية عريقة في حلب. تلك المدينة التي احتفت بالفنون تاريخياً، ولكم ذكر التاريخ قصر سيف الدولة الحمداني، الذي كان منتدى كبار الكتاب والشعراء، وملتقى نوابغ الموسيقيين والمطربين.

ولم يقصر الحلبيون اهتمامهم على إنعاش اللغة والأدب فقط، ولكنهم اهتموا بالموسيقا والطرب. فكانت تشاد في صالات بيوت الأسر الوجيهة أمكنة مرتفعة تجلس فيها جوقات المطربين وتنبسط أمامها فسحات تستوعب الراقصات والراقصين.

كان جده الأكبر عازف كمان وعمل في تخت عبده الحمولي وكان جده لأبيه من أمهر عازفي القانون وكان والده انطوان الشوا من أمهر عازفي الكمان وهو أول من أدخل آلة الكمان إلى التخت الشرقي وجعلها رئيسية فيه فقد كانت آلة الربابة هي التي تقوم بدور الكمان قبل ذلك، وكان حبيب بن جرجي زرقا زوج شقيقة أنطوان الشوّا، يعمل معه ضارباً على الرق أيضاً.

يقول الشوا في مذكراته: «كان جدّي الكبير يوسف عازف كمان يقود تختاً مكوّناً من ابنه الياس عازفاً على القانون، وابنه أنطون على الكمان وابنه عبود على العود وابنه حبيب على الطبلة والنقرزان، واشتهرت هذه الفرقة باسم «نوبة الشوّا». لم تكن هذه الفرقة من الهواة بل من العازفين البارعين، وليس أدلّ على ذلك من أنهم أحيوا احتفالات النصر التي أقامها القائد المصري إبراهيم باشا بعد احتلاله لمدينة حلب».

وُلد الشوا فناناً مبدعاً وعازفاً ماهراً، مثل والده، وجده، ومن قبلهما والد جده، فنبوغه في العزف على آلة الكمان، ظهر ذات فجر، عندما استيقظ على صوت الأذان ولم يشعر بنفسه إلا وهو ينسحب من سريره، متوجهاً إلى غرفة نوم والده، ليمسك بكمانه، وليعود إلى غرفته مسرعاً، قبل أن ينتهي المؤذّن من مهمته، وليخرج من الآلة نغمات منسجمة مع نغمات الأذان، ولتكون أولى معزوفاته: «أذان الفجر».

في عمر الثانية عشرة اشترك في أول حفلة أمام الجمهور، ثم شق طريقه الفني بنجاح كبير، مبدعاً في حفظ الأدوار لكبار الفنانين أمثال عبده الحمولي ومحمد عثمان وابراهيم القباني وعازفاً لها على آلة الكمان مع باقي أفراد تخت محمد العقاد الكبير، حيث صاحب بالعزف غناء كبار المطربات والمطربين مثل عبد الحي حلمي حتى عهد أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب.

نال الشوا من المديح مالم ينله شاعرٌ عربي من حافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وخليل مطران، وإيليا أبو ماضي، وشاعر الأطلال الدكتور إبراهيم ناجي وغيرهم كثير، كما كان أمير الشعراء أحمد شوقي من أشد المعجبين بالشوا العازف، وقد عبر عن إعجابه بقصيدةٍ طويلةٍ عصماء حيّاه بها:

يا واحدَ الفنّ في أشجى معازفه
هذا أوان الثناء العدلِ قد آنا
تلك اللعيبةُ منْ عود ومن وترٍ
لولا بنانُكَ لم تجعل لها شانا
كأنها عش طيرٍ هاجَ آهله
من كل ناحية ينسابُ أشجانا
ضممتها وتواصت راحتاكَ بها
ضمّ الوليدةِ إشفاقاً وإحساناً

في عام 1910 دعي لزيارة الأستانة، وعزف في حضرة الأمير يوسف عز الدين ولي عهد السلطان، وهناك أعجب به الجميع، وخاصة كبار الموسيقيين الأتراك، وذلك من ناحية نهايات القفلات المصرية الخلابة التي يطلق عليها أهل الفن القفلة الحراقة، وما يطلق عليها أهل الشام البرمة.

عام 1928عزف الشوا أمام ملك وملكة إيطاليا على كمانٍ قديم كان جده عزف عليه أمام ابراهيم باشا نجل زوجة محمد علي لدى دخوله حلب، هذا الكمان على وتر واحد فقط ودهش الملكان وفد كافأته الملكة بهديةٍ من الماس.

استقر الشوا في القاهرة طيلة حياته تقريباً وأسس مع الراحل منصور عوض معهداً لتدريس الموسيقا، كما ألف كتاباً لقواعد الموسيقى بعنوان «القواعد الفنية في الموسيقى الشرقية والغربية» طبع عام 1946.

زار كثيراً من الدول الشرقية والغربية، وعزف هناك أمام ملوك ورؤساء وشعوب إيطاليا وبلجيكا وبلغاريا ورومانيا والعراق والأردن وتونس والمغرب وإيران وسوريا ولبنان. وزار البرازيل والأرجنتين وشيلي ليعزف أما الجالية السورية اللبنانية هناك.

ولعل أشهر أعماله صوت الأذان الديني على الكمان مع زقزقة العصافير وهي من الأعمال النادرة، كما كان أول من صاحب الغناء الديني على آلة الكمان وبالأخص الغناء الصوفي مع الشيخ علي محمود.

رحل الشوا في الثالث والعشرين من شهر كانون الأول عام 1965.

قال فيه الاخطل الصغير بشارة الخوري بتاريخ 28 تشرين الثاني عام 1942:

أجراح تسيل أم أرواح
على أنمليك ذبن حنينا
أم شآبيب من جداول شتى
يتفجرن ضاحكاً وحزينا
وتر يأخذ العيون فيجمدن
عليه كأن خلقن سكونا
فترفق إذا ضربت فما تضرب
إلا مكامن الحس فينا

نبلاء، صامدون، هاربون، وانتهازيون
فنانو سوريا التشكيليون "12"

■ دمشق – حمزة السيد

الفقير في التلفزيون

جلس غازي عانا مبتعداً بضعة أمتار عن الكتلة الحجرية الخاصة به في ملتقى المحبة الثاني في اللاذقية 2002، إلى جواره جلس مجيد جمول يناقشه في أي الخطوط المرسومة على الكتلة هي الأجمل، ينهض جمول بنزق يرسم خطاً بالطبشور الأخضر ويعود إلى جلسته بجوار عانا، فيما هذا الأخير يوافقه على ما يقول جمول، لكن الكرب يسكن وجهه، فقد تركه حجاراً جديداً اليوم، ولم يبقى من الوقت في أيام الملتقى ما يكفي لإنهاء العمل، كان عانا يقابل الحجر للمرة الأولى، ويظن أن الحجّار سيقص الكتلة كأنه يقشر تفاحة، لا يعرف استخدام الأدوات إلا الإزميل الذي لا عمل لها هنا، نامت الكتلة كجبل علي صدره فشوهها مختصراً، ومتكاسلاً عن الوصول إلى الخط الأول الذي حدده بعيداً عن النهايات.

يُحمّل المصور ومثله النحات عمله سمات ملتصقة بشخصه، سمات الشكل الخارجي تحديداً ينقلها الفنان إلى علمه دون أن يكون واعياً تماماً لما يرتكبه، وهذا الارتكاب بذاته قد يكون نعمة للبعض ووقعة للبعض الآخر، هنا تتحكم جيناتنا وشكلنا العام بما تنتجه الريشة والأزاميل، لا نعني هنا أن المصور مثلاً ينقل وجهه حين ينوي أن يرسم وجهاً، بل هو يقع في شرك نسبه الخاصة فينسخها تلقائياً، نسبة العين للعين، الأذن للشفاه، موسيقى الجسد، ليونته أو قسوته، وحتى الآن لا نعلم إن كان "المعلم الكبير" دافنشي قد وقع في الشرك عامداً أم بحكم ذاكرة جلّ ما فيها هو جسده هو كما هو حالنا جميعاً، فمن لا يظن منا أن جسده كامل التكوين صحيح النسب؟ نسب الجوكندا ويوحنا واللطيفات والمسيح، كلها تتطابق مع نسب وجه "ليونار" كما كان يناديه ملك فرنسا التي نفى نفسها إليها، هنا يختلط علم النفس بالتشكيل ولا يتفوق أي أحد منهما، ما عُدَّ اكتشافاً علمياً يعزز نظرية عبقرية دافنشي، كان أصلاً في كل ممارس لشيء من تشكيل.

ما سبق، هو مثال حَسَن لما يمكن أن يكون حكماً مطلقاً ونقطة ضعف يقع فيها كل من حمل قلم وريشة، في حالة النحات السوري عانا، تبدو الكتلة القصيرة الممتلئة قليلة التضاريس، الصامتة لا موسيقى لها، ظلاً لعانا ونَسخاً رديئاً عن رجل متردد قلق وغير راض وكثير الشكوى، قصير القامة والزراعين، كرب التقاسيم، إذا صادفته من خلف تظنه بعمر الخامسة عشرة، عمله في 2002، ورغم تدخل جمول، بقي ثقيلاً لا شكل له، وكان ولا يزال من النادر أن تقيم أي مؤسسة رسمية في سوريا معرضاً تحت أي عنوان، لا يشارك فيه عانا بواحدة من كتله التي لا تشبه بعضها ولا تنتمي لمراحل فنية واضحة الهوية.

في جميع الملتقيات التي شارك فيها عانا كان يختار نداً له كي يشتكي منه علناً، في المحبة 2002 كان الندّ هو مصطفى علي "قصير مثلي ودميم كما أنا، لكن تحبه النساء ولديه المال" جملة لم يكن عانا يخفيها حتى عندما يكون علي قريباً من مجلسه، "الغيرة" كما كان يسميها جعلته يصادق طليقة علي التي كانت تقيم في الملتقى كي تراقب زوجها السابق الذي كان قد زفّ حديثاً لعشرينية جميلة، عانا مع الطليقة كانا يكثران من الثرثرة حول علي في الحافلة التي تنقل النحاتين من الفندق حتى المدينة الرياضية حيث يقام الملتقى، لتنتهي مع الصوت العالي الذي تصدره آلات القص.

كانا عانا حتى ذلك التاريخ يسكن في غرفة واحدة بالآجار في أطراف دمشق مع زوجته وابنته، فيما كان علي يشتري منازل دمشق القديمة، الجائزة النقدية التي كانت تعطيها وزارة الثقافة للمشاركين في الملتقى تبلغ 75000، وهو مبلغ كان يشكل للنحاتين الصغار فرصة تأتي مرة كل عام، وكان بعضهم يصرفها على تأمين سكن في دمشق، هكذا فعل عيسى ديب الذي بنى بيتاً من معدن وبقايا مصانع في الطبالة بدمشق، فهدمته البلدية قبل أن يبلغ عمره الشهر.

منذ عام 2008 تمكن عانا من تقديم برنامج تلفزيوني يعنى بشؤون الفن التشكيلي في البلاد، بالنسبة له كانت تلك نقطة قوة ستعزز من احتمال دعوته للمشاركة في فعاليات فنية بحكم لعبة المصالح التي كانت تحكم الوسط الفني السوري، البرنامج الذي كان يعده عانا ظهر هزيلاً كما هو معظم ما يقدمه التلفزيون الرسمي حول الفن في البلاد، يقدم البرنامج حتى اليوم عبر الفضائية السورية. ولن تذكر عملاً واحداً لعانا مهما اجتهدت، بالرغم من أن السنوات الأخيرة المنصرمة، شهدت تغيراً كبيراً في منتوج عانا، فبدأت الكتلة تتخلص من شحومها، وظهر تكوين واحد كرره عانا لعشرات المرات حتى الآن.

عضو في نقابة الفنانيين التشكيلين كما كانت تسمى آنذاك، وناقد فني، يُعرف عانا عن نفسه، أو يوقع مقالاته في تشرين أو الثورة أو الحياة التشكيلية الدورية الوحيدة في سوريا التي تعنى بالفن التشكيلي، مقالات بمقدمات طالما كتبت ولم تقرأ، ومواضيع مترجمة عشرات المرات، لتطور الفن في منتصف القرن العشرين، فيما كان ينشر أحياناً عن معارض تشهدها العاصمة، وككل حال النقد في سوريا، مقالات تصف اللوحات بجمل متشابكة شديدة التعقيد لا تفسر الماء إلا بالماء، لكنها كانت تذكرة جديدة لعانا كي يتقرب من فناني السلطة والمال، ونجح، فيكتب عن معارض في المراكز الثقافية التي هجرتها اللوحات منذ 2003، أو يغطي ملتقى لم يدعى له.

أسس عانا حوالي 2010 مرسماً خاصاً في دمشق، بعد أن كان مرسمه هو ذاته الغرفة في الطبالة، ودعا للمرسم طلاباً كي يدربهم فذهب الأسوأ، اليوم يستمر في ممارسة النحت في دمشق مع فرص أكبر إذ هجر منافسوه العاصمة وبقي وحيداً في الميدان.

حنّا بطاطو: فلاحو سورِيا
أبناءُ وجهائهم الريفيين الأقل شأناً وسياساتهم

■ ياسر مرزوق

قلة من الناس سمعت بحنا بطاطو الأكاديمي الفذ والباحث المقدسي، والمؤرخ الاجتماعي الذي توفي غريباً في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن قضى جلّ حياته بالتأريخ والبحث الاجتماعي السياسي لعددٍ من بلدان الشرق الأوسط، وبخاصةٍ التركيبة الاجتماعية والحركات الثورية في تلك البلدان.

وإذا جاز لنا القول فحنا بطاطو مؤرخ عراقي، قضى وقتاً طويلاً في العراق يدرس أرشيف الشرطة العراقيّة لتجميع معلومات عن الشيوعيّين وعن البعث وعن غيرهم من التنظيمات، والعودة للجذور التاريخية والاجتماعية والسياسية للفئات المشكلة للسلطة الحاكمة، مع الانشغال بالجوانب العقدية والمذهبية لها.

بذات النهج البحثي الذي امتاز به في أبحاثه عن العراق يأتي كتابنا اليوم مساهمه تحليلية مركزية لطبيعة السلطة السياسية القائمة في سورية، وقراءة شاملة لطبيعة النظام السوري وتركيبته وسياساته، من جوانب وزوايا غير مسبوقة في الدراسات التي تناولت تاريخ سورية الحديث أو نظام الأسد علي وجه الخصوص.

أتى الكتاب باللغة الإنكليزية، وصدرت نسخته العربية عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بتوقيع المترجمين عبد اللّه الفاضل ورائد النقشبندي، ومراجعة ثائر ديب.

وكان بطاطو قد حصل عام 1992 على إجازة تفرّغ علمي من جامعة «جورج تاون» للقيام بدراسة عن الفلاحين في سورية ودورهم في السياسة، وبالفعل أتت الدراسة منهجاً لفهم عميق لسلطة الأسد وقدرتها على البقاء في الحكم خلال هذه المدة الطويلة جداً من تاريخ سورية ونجاحها من دون أي مقاومة تذكر في توريث الدولة السورية إلى وريث عائلتها ممثلاً في بشار الأسد، كما فسرت وعلى نحو غير مباشر الأصول الاجتماعية للثورة السورية والتي هي نفسها الطبقات الاجتماعية التي ادعى حزب البعث الدفاع عنها وتصدى للحديث باسمها.

انتقل بطاطو من المصادر والوثائق المكتوبة إلى الشهادات الحية للأشخاص الذين كان لهم شأن في الحوادث التي يتناولها، أو الذين كانوا شهودا عليها، أو متأثرين بها، كلقائه فلاحين عاديين ليجمع شهاداتهم في المسائل التي يتناولها، التاريخية منها أو الحديثة التي تؤثر فيهم تأثيرا مباشرا. ثم يعمد إلى مقاطعة المعلومات والروايات المختلفة عن الحوادث لتكوين صورة متكاملة معقدة عن واقع هو ذاته معقد. ويذهب أحياناً إلى مقابلة الأشخاص الذين يرد ذكرهم في مصادر معينة ليطرح عليهم الآراء المختلفة ويقف على رأيهم فيها.

في القسم الأول وتحت عنوان «ظروف الفلاحين الاجتماعية والاقتصادية»، يقدم بطاطو تحليلاً واضحاً للشروط الاجتماعية والاقتصادية للفلاحين في سوريا، بحيث لم يقم بعرضهم ككتلة اجتماعية واقتصادية صماء شأن الكتاب اليساريين في تعاطيهم مع طبقة الفلاحين مميزاً بينهم من حيث الانتماء الديني وملكيتهم للأرض وارتباطهم التاريخي بها، وعلاقاتهم مع المجتمع المدينيّ تاريخياً وغير ذلك من التمايزات التي كان لها شأنٍ في تشكيل وعي الفلاحين وسياستهم لاحقاً.

القسم الثاني «أنماط الوعي والتنظيم والسلوك السياسي الفلاحي قبل البعث»: دراسة معمقة لوعي الفلاحين السياسي وتنظيمهم وانتمائهم قبل اغتصاب حزب البعث للسلطة باسمهم عام 1963، يستعرض فيها التجمعات أو التنظيمات المحلية لفلاحي سوريا والتي كان لها شأن في مواجهة العثمانيين والانتداب الفرنسي لاحقاً، وبالرغم من كون زعاماتها صوفية أو مذهبية في تلك الفترة إلا أنها ساهمت في بلورة وعيهم لاحقاً، كما يعرض لتجربة الحزب العربي الاشتراكي بزعامة أكرم الحوراني بوصفه أول حزب فلاحي حديث منظم، وتجربة الشيوعيين والبعثيين.

«البعثيّة في جوانبها الريفية والفلاحية»، كان عنوان القسم الثالث من الكتاب تحليلاً للجوانب الريفية والفلاحية في عقيدة حزب البعث وسياساته، فحزب البعث لم يكن مغرياً للبرجوازيين أو لأبناء العائلات السياسية القديمة، فكانت الخلفيات الريفية هي العنوان الأبرز لكوادره الأولى والذين تزعموا الحزب لاحقاً، كما يميز بين ثلاث مراحل طبعت تاريخ حزب البعث في سوريا، المرحلة الأولى من البدايات حتى تسلّم البعث السلطة في عام 1963، وتمتد بعض خصائصها حتى عام 1966، والمرحلة الثانية التي كان الصراع المستمر بين تيارات البعث عنوانها الأبرز والتي امتدت من حركة 23 شباط عام 1966 واستيلاء حافظ الأسد على السلطة في 16 تشرين الثاني عام 1970، أما المرحلة الثالثة فتبدأ باستيلاء حافظ الأسد على السلطة. ويبيّن بطاطو الاختلافات العميقة بين هذه المراحل، ليستنتج أن بعث حافظ الأسد يختلف تماماً عن بعث المرحلتين الأولى والثانية، وهو اختلاف يصل إلى حد التناقض أحياناً.

«حافظ الأسد أول حاكم لسورية من أصول فلاحية»، استحوذ هذا القسم على الجزء الأكبر من الكتاب، يحلل فيه بطاطو طبيعة نظام البعث الأسد المتميز بطبيعته وبنيته عن غيره من الأنظمة، مهما حمل من عناصر التشابه معها، وكان ذوو الأصول الريفية ركيزته العسكرية والسياسية، كما يقرأ البنية الطائفية والعشائرية والمناطقية، ومستويات السلطة، في السياسة العامة للنظام.

محيطاً بجميع جوانب العلاقات الجدلية بين مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية في حقبة ما، لكي نتمكن من فهم حركة التاريخ في تلك الحقبة، وفهم الممسكين بروافع السلطة الحاسمة في سوريا منذ عام 1963، والذين تعود جذورهم إلى المجتمع الريفي الذي تشكل إلى حد بعيد، تحت تأثير تجربته التاريخية.

حنا بطاطو

باحث وأكاديمي بارز، فلسطيني الأصل أميركي الجنسية، عُنِيَ بالتأريخ والبحث الاجتماعي السياسي لعَددٍ من بلدان الشرق الأوسط، وبخاصةٍ لتركيبة الاجتماعية والحركات الثورية في تلك البلدان.

وُلد في القدس في عام 1926، وعاش فيها حتى عام 1948 حين هاجر إلى الولايات المتحدة، وهناك درس في مدرسة «إدموند ويلش» في جامعة «جورج تاون». وفي عام 1960 حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة «هارفرد»، وكانت أطروحته بعنوان «الشيخ والفلاح في العراق 1917 - 1958».

بعد ذلك انتقل إلى بيروت وعمل أستاذا في الجامعة الأميركية بين عامي 1962 و1982. ثم عاد إلى الولايات المتحدة، ودرّس في جامعة «جورج تاون» حتى عام 1994؛ وتوفي في الولايات المتحدة سنة 2000.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

الإعاقة من الرعاية إلى المواطنة

■إعداد المحامي فارس حسّان

تعريف الإعاقة

تعرّف منظمة الصحة العالمية الإعاقة باعتبارها: «مصطلحاً يغطي العجز، والقيود على النشاط، ومقيدات المشاركة. والعجز هو مشكلة في وظيفة الجسم أو هيكله، والحد من النشاط هو الصعوبة التي يواجهها الفرد في تنفيذ مهمة أو عمل، في حين أن تقييد المشاركة هي المشكلة التي يعاني منها الفرد في المشاركة في مواقف الحياة، وبالتالي فالإعاقة هي ظاهرة معقدة، تعكس التفاعل بين ملامح جسم الشخص وملامح المجتمع الذي يعيش أو تعيش فيه».

كما تعرّف بأنها حالة تحد من قدرة الفرد على القيام بوظيفة واحدة أو أكثر من الوظائف التي تعتبر أساسية في الحياة اليومية كالعناية بالذات أو ممارسة العلاقة الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية وذلك ضمن الحدود التي تعتبر طبيعية. أو هي عدم تمكن المرء من الحصول على الاكتفاء الذاتي وجعله في حاجة مستمرة إلى معونة الآخرين، والى تربية خاصة تساعده على التغلب على إعاقته.

أنواع الإعاقات:

1 - الإعاقة الحركية: وهي الإعاقة الناتجة عن خلل وظيفي في الأعصاب أو العضلات أو العظام والمفاصل والتي تؤدي إلى فقدان القدرة الحركية للجسم نتيجة البتر، وإصابات العمود الفقري، ضمور العضلات، ارتخاء العضلات وموتها، الروماتيزم، حيث بلغت نسبة الإعاقة في البطن والحوض 11. ٪8 ونسبة الإعاقة في الأطراف السفلية نحو 35. ٪5 وفي الأطراف العلوية نحو 19. ٪7.

2 - الإعاقة الحسية: هي الإعاقة الناتجة عن إصابة الأعصاب الرأسية للأعضاء الحسية، العين، الأذن، اللسان وينتج عنها إعاقة حسية بصرية أو سمعية أو نطقية.

3 - الإعاقة الذهنية: هي الإعاقة الناتجة عن خلل في الوظائف العليا للدماغ كالتركيز والعد والذاكرة والاتصال مع الآخرين وينتج عنها إعاقات تعليمية أو صعوبة تعلم أو خلل في التصرفات والسلوك العام للشخص.

4 - الإعاقة العقلية: هي الإعاقة الناتجة عن أمراض نفسية أو أمراض وراثية أو شلل دماغي نتيجة لنقص الأكسجين أو نتيجة لأمراض جينية أو كل ما يعيق العقل عن القيام بوظائفه المعروفة.

5 - الإعاقة المزدوجة: وهي وجود إعاقتين للشخص الواحد.

6 - الإعاقة المركبة: وهي عبارة عن مجموعة من الإعاقات المختلفة لدى الشخص الواحد.

والمعاق هو من انخفضت إمكانيات حصوله على عمل مناسب بدرجة كبيرة أو احتفاظه به نتيجة لقصور بدني أو عقلي، كما يعرّف أيضاً بأنه الشخص الذي يختلف عن المستوى الشائع في المجتمع في صفة أو قدرة شخصية سواء كانت ظاهرة كالشلل وبتر الأطراف وكف البصر أو غير ظاهرة مثل التخلف العقلي والصمم والإعاقات السلوكية والعاطفية بحيث يستوجب تعديلاً في المتطلبات التعليمية والتربوية والحياتية بشكل يتفق مع قدرات وإمكانات الشخص المعاق مهما كانت محدودة ليكون بالإمكان تنمية تلك القدرات إلى أقصى حد ممكن.

والإعاقة أو الاحتياجات الخاصة قد تشكل دافعاً أكبر للإبداع والتميز عن المحيط، كما وصف «ليونارد كيرجل» معركته مع شلل الأطفال في كتابه «الطيران وحيداً» كان لزاماً علىّ أن أتعلم أن أكون بطل نفسي، المثل الخاص بي الذي أريد اتباعه – وبالأحرى أريد أن أقول أنه كان لزاماً على أن أتعلم أن أعيش في عالم ليس به أبطال أو مثل يُحتذى.

الإعاقة والمواطنة

. بينما تجمع أغلب دساتير العالم على المساواة التامة بين المواطنين على اعتبار أنهم متساوون في الحقوق والواجبات لا تمييز بينهم بسبب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو الإعاقة أو الموقع الجغرافي أو المستوى الاجتماعي أو الانتماء السياسي أو لأي سبب أخر. كما تنص أيضاً على أن التمييز والحض على الكراهية جريمة يعاقب عليها القانون إلا أنه وفي التطبيق العملي تقف الإعاقة حاجزاً تمنع صاحبها من التمتع بمواطنته بوجه عام والمشاركة السياسية بوجه خاص.

وعليه فإن من واجب الدولة الحفاظ على حقوق المعوقين في لمواطنة، وذلك

عن طريق إزالة التمييز الذي يعاني منه الأشخاص ذوي الاعاقة من جانب الدولة، كما عليها أن تسهّل التقاضي ضد أي قانون أو قرار إداري يقوم بالتمييز ضدهم.

إلا أن مجرد وجود هيئات أو قوانين تنظم حياة المعوقين لا يكفي لتمكينهم من حقوقهم وقد تنبه المشرع المصري في الدستور المصري الحالي لهذه الحاجة إذ نصت المادة 72 على ما يلي: «تلتزم الدولة بضمان حقوق الاشخاص ذوي الإعاقة صحياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وترفيهياً ورياضياً ودمجهم تعليمياً بالمساواة مع غيرهم من المواطنين، مع توفير فرص العمل لهم، كما تلتزم بتهيئة المرافق العامة والبيئة المحيطة بهم وفقا للاتفاقيات الدولية المصدّق عليها، وتكفل لهم ممارسة الحقوق السياسية وفقا للقانون».

بينما كانت المادة القديمة قد نصت على أن الدولة تلتزم «برعاية ذوي الإعاقة صحياً وتعليمياً واقتصادياً واجتماعياً، وتوفر لهم فرص العمل، وترتقي بالثقافة الاجتماعية نحوهم وتهيئ المرافق العامة بما يناسب احتياجاتهم».

في المادة السابقة انتقال من منطق الرعاية إلى منطق التمكين خاصةً بعد معاناة المعاقين المستمرة في الدورات التشريعية السابقة للدستور، مما كان يمنعهم من المشاركة السياسية أو يؤدي إلى استغلال أصواتهم الانتخابية خلافاً لإرادتهم، نتيجة لعدم تهيئة اللجان الانتخابية لاستقبالهم، بل ووجود لجان في الطوابق العلوية مع عدم وجود ممرات للكراسي المتحركة، فقام بعض القضاة بتخصيص موظف للانتقال للدور الأرضي لتسليم ورقة التصويت للشخص ذوي الاعاقة وإعادة تسليمها للقاضي، مما أدى إلى التشكيك في نزاهة العملية لأن الشخص المعوّق لا يضع الورقة بنفسه في الصندوق المخصص. كما عانى الأشخاص ذوو الاعاقة البصرية من عدم تهيئة اللجان وعدم توافر أوراق تصويت مخصصة لهم. وكل هذه الانتهاكات وغيرها شكلت موانع أمام الأشخاص من ذوي الاعاقة للإدلاء بأصواتهم مما يعد تمييزاً وتفرقة بين المواطنين الذين لهم حق الانتخاب.

كما اقترب المشرع التونسي من فكرة التمكين إلا أنها لم تأت ناضجة أسوة بالمشرع المصري حيث نصت المادة 47 من الدستور على: «أن الدولة تحمي الاشخاص ذوي الاعاقة من كل تمييز، لكل مواطن ذي إعاقة الحق في الانتفاع حسب طبيعة اعاقته بكل التدابير التي تضمن له الاندماج الكامل في المجتمع وعلى الدولة اتخاذ جميع التدابير الضرورية لتحقيق ذلك»، بينما لم يلحظ المشرع السوري موضوع الإعاقة إلا من باب الرعاية الصحية.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1992 / 2 / 5

العاصفة في الخارج مستمرة. الثلج لم يزل يندف، الرياح تعوي ودرجات الحرارة في هبوط، والكهرباء منطفئة أكثر الوقت، والتدفئة المركزية متوقفة بسبب انطفاء التيار.

قال الطبيب إسماعيل أن الإبر التي يعطيها لزهير سكرية تطرح البغل؟! ساعة نوم. هو لا ينام إلا قليلاً وينهض. الحالة العصبية التي تعرض لها زهير البارحة عنيفة وربما في حالة مشابهة يتعرض للانتحار.

من الأخبار عن الحالة الجوية علمنا أن طريق حمص - دمشق سالك بصعوبة بسبب تساقط المطر بعد الثلج، وأحياناً يتساقط المطر والثلج معاً. المطر في المنطقة الوسطى أكثر من الثلج والأخبار تقول عن المطر الغزير في محافظة درعا، وغزارة الثلج في محافظة جبل العرب، وأنه ارتفع إلى ثلاثة أمتار في مدينة السويداء.

حدثنا أبو صلاح قال: كانت شتوية 48 - 49 قاسية في الرقة وريفها أثلجت واستمرت ثلث الشهر. أذكر أن الغزال جاء القرى ومنها الهيشة، وكان يرافق الغنم والماعز في مبيتها، ولا نتعرض له وأذكر أن الدجاج عندما كان يبيض كانت البيضة فور تعرضها للبرد تحدث في قشرتها الخارجية خطوط مشعوره، كما أذكر أن قريباً لنا ذهب ليلاً إلى أرضه ليردم « العدّان » عنها وخاض في الجليد حتى فقد الإحساس برجليه، وعندما عاد للبيت ووضع رجليه في الماء الساخن لم يعثر على أظافر قدميه.

مراسل / مونت كارلو / في لبنان أفاد أن الثلوج تغطي كل البلد، وأن المواصلات متوقفة، ومدن الساحل تتعرض للهطول المطري، فبيروت سجلت حتى الآن 750 مم مقابل 200مم في العام الماضي، وأن بحيرة القرعون بدأت بالفيضان هي ونهر الليطاني، ومئات القرى والبلدات في الجبال مقطوعة عن بعضها، وارتفع الثلج إلى ستة أمتار.

1992 / 2 / 6

وزعت الإدارة جناحاً كاملاً لحزب العمل على الأجنحة الأخرى ومعهم بعض عناصر من المكتب السياسي. التقدير أن الأوامر من الخارج، والإدارة هنا منفذة.

التقديرات العامة لهذا التصرف مع حزب العمل أن الأوامر من قيادة المخابرات العسكرية مباشرة. فقد أذاعت بعض وكالات الأنباء خبراً مفاده إلقاء القبض على لجنة حقوق الإنسان في سورية، وهذه اللجنة سرية، وربما لها علاقة أو لبعض عناصرها علاقة ما بحزب العمل، والجميع من خلال هذه اللجنة يزودون بعض الوكالات ولجنة حقوق الإنسان في الخارج بمعلومات حول السجون السورية، وحول عدد المعتقلين، وحول نسبة الإفراجات، وحول أساليب التعذيب وممارسات النظام المضادة لحقوق الإنسان. ويُظن أن إلقاء القبض على أعضاء لجنة حقوق الانسان تبعه التعذيب أثناء التحقيق والأساليب الوحشية، فيكون هناك اعترافات حول علاقة المعتقلين بحزب العمل. فأُعطيت الأوامر للسجن لتفتيت عناصر الحزب وتوزيعهم، وهو نوع من العقاب، إن هذا الحزب لا يزال نشيطاً في الخارج ومتحركاً ويفضح النظام ويوزع المنشورات، وله قنواته لإيصال المعلومات إلى الخارج.

تزداد الحالة العصبية تفاقماً لزهير سكرية، كما يزداد توتره.

العاصفة مستمرة، والثلج مستمر وكل ليلة تمر أبرد من سابقتها، إذ لا يمكن تصور شدة البرد. قالت الأرصاد الجوية السورية: إن المنخفض مستمر، وأن الثلوج مستمرة في المناطق الجبلية، والأمطار الغزيرة مستمرة بالمناطق الداخلية وأن الطرق بالمرتفعات غير سالكة، وأن السهول سالكة بسبب عمل الجرافات المتواصل.

1992 / 2 / 7

ليلة عاصفة ومثلجة أخرى، التدفئة مطفأة والكهرباء مقطوعة، ودرجات الحرارة تصل إلى الخامسة تحت الصفر إن لم تكن أكثر من ذلك. صارت الساعة الواحدة ظهراً، ولا تزال العاصفة مستمرة، وجاء الرقيب وأغلق الأبواب وقال هذا إجراء مؤقت. وتقديرنا هو توزيع الجناح الثاني لحزب العمل، وبدل أن ترد مخصصاتنا بشكل منتظم أثناء هذه العاصفة، فإن كل شيء انقطع سوى الخبز، فلا لحمة ولا شاي، ويأتي المربى سيئاً ورديئاً فنرفض استلامه، ويحملون لبنة للمهجع لا تكفي لشخصين. وهكذا مع سوء الطقس وشدة البرد ازدادت الأمور تعاسة. قلنا للزميل أحمد حموي، الذي استلم شاويش عام الجناح أن يطلب المساعد، ويشرح له الوضع أو يطلب منه لقاء مدير السجن. ومع هذه الحالة ازدادت حالة زهير سكرية سوءاً، ولم تعد تنفع الإبر المهدئة، فهو في حالة هيجان مستمرة. البارحة كان نائماً في المهجع الثالث كي يشرف على حالته الدكتور ناجي، إلا أنه لم ينم ولم يدع أحداً ينام واستمر يدبك ويضرب الباب ويعوي إلى الساعات الأولى من الصباح. الساعة قاربت الرابعة والأبواب لا تزال مغلقة.

أقرأ كتاب حمروش بأجزائه الخمسة عن ثورة يوليو والضباط الأحرار والتي تحولت فيما بعد إلى نصف ثورة، والتناقضات الكبرى في الوطن العربي عامة، ومصر خاصة. وأقرأ في مجلة صوت الطليعة العدد 29 السنة السادسة وفيها ملف كامل عن حادثة الحرم وجهيمان العتيبي ووضع العائلة السعودية وحكمها الفاسد وهو تحقيق يقع في 200 صفحة يتسم بروح الوطنية والمسؤولية، إن كتاب حمروش سجل حافل لصعود وهبوط العسكريين، الساعة السادسة وقد اشتعل التيار الكهربائي.

عدت أقرأ في الملف عن فساد العائلة السعودية، وأرى أن الحكام العرب قد أفسدهم النفط والاستهلاك والانفتاح.

البرد القارص قد أحنى ظهورنا، وندبٌ حول الطعام، نعود إلى الالتفاف بالأغطية، إننا نسينا من شدة البرد إخلاء السبيل والزيارات. نبحث عن الدفء ولا نفوز به. حالة من الصقيع نتعرض لها. مضى أسبوع على العاصفة.

قال طفل صغير هناك: سأصمت ولن أنطق بحرف حتى يصغي الكبار إلى صغارهم. فإن فعلوا تجدهم قد أدركوا معنى التناغم والوفاق ورموا بخلافاتهم في عرض البحر.

ريف حلب - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

عمل للفنانة ديالا برصلي

دمشق حين تموت عاصمة

■ دمشق - نوال معصوم

دمشق، مدينةٌ تلملمُ قبورها المنتشرة في الشوارع، مدينةٌ ميْتةٌ لا أحد يدري أي رمق أخير هذا الذي تلفظه، كيف يعيش الناسُ فيها وكيف يموتون؟ كيف يأكلون وكيف يشربون؟ في خضمّ الأزمة الإنسانية التي تمر بها مدينتهم لا زال البعض يضحك عليهم أن الأمور تسير نحو "الإصلاح" والحلول السعيدة.. وحدهم أهل دمشق يعرفون متى تنتهي مأساتهم، لعلها تكون آخر لحظةٍ يشعرون فيها بأي شيءٍ يشير إلى الحياة.

بعد صعودي إلى حافلة خط المهاجرين - صناعة وحيث وقفْتُ طويلاً بين كومةٍ كبيرةٍ من الناس المنتظرين حافلات هذا الخط المشهور صعدَتْ إلى ذات الحافلة امرأةٌ ضعيفة الجسد تحتاج إلى من يساعدها في رفع قدمها لتتمكنَ من الصعود، وجلسَتْ إلى جانبي تتنفسُ الصعداء، في المحطة التي تليها صعدَتْ امرأةٌ أخرى وجلستْ بموازاتها، نظرتا إلى بعضهما نظرةَ حسرةٍ وحزن، هما تعرفان بعضهما البعض، فقالت الأولى لمجاورتها: "كيف حال العائلة؟"، أجابت: ابنتاي الاثنتان عادتا أمس أرملتين"، قالت الأولى "ابنتي نزحَتْ من بيتها مع زوجها الذي اضطر لبتر قدمه بعد أن أصابتْه رصاصةٌ فيها، كان يبيع الخبز بينهم فقط! وأنا الآن متجهةٌ إلى القنيطرة لأراهم بعد أن خرجوا، لعلها تكون آخرَ مرةٍ أراهم فيها في البلد فقد ترددوا قبل الخروج من بيتهم حيث قالوا إن أهل قريتهم كلهم عبأوا أنفسهم في باصاتٍ متجهةٍ إلى تركيا ورحلوا! حتى أولئك الذين سافروا هل هم يا ترى مرتاحون نفسياً؟ لا واللّه لا أحدَ مرتاحٌ".

والدٌ شابٌ مع زوجته وطفله الذي لا يتجاوز عمره أربع سنوات، يحملُ أكياساً كبيرة وثقيلة، عليها رمزُ منظمة الغذاء العالمية، فيها من السكر والأرز وما شابهها من المعونات، وضعها إلى جانبه بكل اعتناءٍ كمن يحمل أكياساً من السلع المرصعة بالذهب خائفاً من سرقتها! أو تحفٍ كريستالية ثمينةٍ يخافُ أن تتكسر! حتى أن طفله أخذ يلعب بأحد الأكياس فقام بتوبيخه خائفاً أن يتمزق الكيس وتذهب كل النعمة التي يحويها..!

في منتصف الطريق تتهافتُ الناس إلى الحافلة التي تمر كل ربع ساعةٍ ربما، ربما أحدهم كان منتظراً إياها لأكثر من نصف ساعة! يصعدون إلى الحافلة بالعشرات واقفين وجالسين وحاني ظهورهم، وتمشي الحافلةُ بتعبٍ شديدٍ يُشعرك للحظةٍ أنها سترمي كلَّ من يملأ جوفها غير آبهةٍ بالأرواح، لتشاهدَ على طول الطريق مشاهدَ لم تكنْ لتراها بهذه الكثرة قبل الأزمة! بضعةُ بطانياتٍ مكوّرةٌ فوق بعضها وبجانبها حذاءٌ مهترئ، تدققُ النظر فيها قليلاً لتستوعبَ أن أحد المشردين يتدثر بهذه الكومةِ لأن شتاء دمشق قادمٌ ببردٍ لا يقاوم، نائماً بين أدخنة عوادم السيارات والحافلات، وبين أبواق الباصات المزعجة وصراخ بائعي الخضراوات وعناصر الحواجز، تحت جسر الزاهرة وجدَ بقعةً من الرصيف لا يطرده منها أحد، لعلّ هذا المشردَ كان يسكنُ بيتاً كبيراً في الغوطة الشرقية أو في الميدان أو المليحة أو المخيم! لعله نزحَ منه ولم يجد مكاناً يذهب إليه سوى هذه البقعة المتسخة والمليئة بالضوضاء! تنظرُ حوله فتجدُ الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم عشر سنواتٍ أو أكثر بقليل يبيعون ربطات الخبز أو قوارير المياه، أولئك الأطفال الذين يستحقون مقاعدهم في المدارس كما يفعل الكثيرون من أبناء جيلهم! كل هذه المشاهد تراها في الشوارع الدمشقية التي يمشي فيها - ذاتها - الدمشقيون بسياراتهم الفارهة غير مهتمين بأحوال الفقراء المنتشرون في المدينة..!

ويصل الباص إلى آخر موقفٍ له والذي هو أيضاً موقفٌ جديدٌ ليعود به الناس في خط العودة، حيث تتجمعُ سيارات الأجرة هناك لتلتقط الركاب اليائسين من انتظار الحافلات، فكما هو متداولٌ في دمشق تقسمُ الأجرة على الركاب إذا استقلوا سيارة أجرةٍ معاً، يصيح السائقون على سياراتهم أن تكلفة الراكب الواحد مائة وخمسون ليرة، فتسمع الناس من هنا وهناك يتناقشون حول غلاء هذه الأجرة، وأن بعضهم يفضّل الانتظار نصف ساعةٍ بعدُ على أن يدفع مبلغاً كهذا، ليقوم أحدُ السائقين "التجاريّ العقل" بالصياح بنداءٍ جديد: "الراكب مائة ليرة اليوم تنزيلات تنزيلات مائة ليرة فقط"، كم هو مؤلمٌ ومضحكٌ في ذات الوقت أن الناس لا زالوا يستخدمون حس الفكاهة لحل أمورهم اليومية! حيث صعد الكثيرُ مع السائقين الذين نادوا بهذا النداء.

كيف يحتمل أهل دمشق العيش فيها؟ وإلى متى سيواظبون على صبرهم؟ هي أسئلة لا يعرفُ جوابها أهلُ دمشقُ ذاتُهم..